أعماقُ النِّعمَة
قصَّةُ حياةِ جُون نْيُوتِن

الكاتب: توماس لوتمان

رسم/ فنَّان الرسم الحاسوبي: زاكاري فرانزين

© Bible Visuals International, PO Box 153, Akron, PA 17501-0153

Phone: (717) 859-1131 www.biblevisuals.org

All rights reserved.
Bible Visuals is a not-for-profit ministry that exists to produce
and provide visualized curriculum to ministry partners worldwide for the purpose of ***Helping Children See Jesus!***

ON LINE HELPS

Memory verse tokens and posters for this volume are available online. Visit www.biblevisuals.org and search for 4001 for ready-to-print PDF downloads.

الفصل الأوَّل
نعمةٌ مجهولةٌ

اعرض الصورة رقم ١

سألتْ أمُّ جون: "مَنْ هو الله يا جون؟"

فكَّرَ جون لحظةً، ثمَّ جلس على كرسيِّه وأجاب: "الله روحٌ، وغيرُ محدود، وسرمديٌّ، ولا يتغيَّر في كيانه، وحكمته، وقدرته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وحقِّه".

فتابعت أمُّه تسأل: "هل هناك أكثر من إلهٍ واحدٍ؟"

فردَّ جون: "هذا سهلٌ يا أمِّي. لا يوجد سوى إلهٍ واحدٍ فقط، هو الإله الحيُّ الحقيقيُّ".

فقالت الأمُّ: "أحسنتَ يا جون. يبدو أنَّكَ سوف تنتهي من حِفْظ كتاب التعليم المسيحي الموجز قبل بلوغكَ السادسة من العمر".

كان جون ووالدته يراجعان كلَّ صباح كتاب وستمنستر الموجز، وهو عبارة عن سلسلة من ١٠٦ أسئلة وأجوبة تُستخدم لتعليم جون أساسيَّات الإيمان المسيحي.

ثمَّ تابعت تقول: "ما هو عَمَلُ الخَلْق؟"

فأجاب جون: "عَمَلُ الخَلْق هو أنَّ الله خلقَ كلَّ شيء من العدم بكلمة قدرته، وذلك خلال ستَّة أيام، وكان كلُّ ما خلقَهُ حسنًا جدًّا".

لكن قبل أن يتسنَّى لهما استكمال الأسئلة، قاطعهما سُعال أمِّ جون. فتوقَّفت وأسرعت إلى الغرفة الأُخرى قبل أن يرتفع صوت هذا السعال. كانا في العادة ينهيان ٢٠ سؤالًا من التعليم المسيحي قبل أن يعاودها السعال. لكن في ذلك اليوم أنهيا فقط تسعة أسئلة.

صحيح أنَّ جون كان يحبُّ أخْذَ استراحة، لكنَّ توقُّف والدته أتاح له فرصة التفكير في سؤالٍ يطرحه خاصٍّ به، لذا انتظر حتَّى عادت أمُّه وجلست ليسألها:

"أمِّي، في أيِّ يومٍ خلق اللهُ البحار؟"

فقالت له: "أعتقد أنَّه خلقها في اليوم الثالث يا جون. يقول الكتاب المقدَّس إنَّ الله جَمَعَ المياه ليشكِّلها".

فسأل جون: "أيَّ بحر يجتاز أبي حاليًّا؟"

فأجابت الأم: "حسنًا، هو يجوب كلَّ البحار، لذلك لا أعلم بالضبط أين هو الآن. لكنَّه ذكر في رسالة الشهر الماضي أنَّهم متَّجهون إلى البحر الأبيض المتوسِّط".

كان والد جون قبطان سفينةٍ تجاريَّةٍ، ولم يكن يعود إلى المنزل كثيرًا، وإذا جاء لا يمكث فترة طويلة. وكان قد مرَّ أكثر من عام منذ رآه جون ووالدته آخر مرَّة.

ثمَّ سأل جون أيضًا: "هل يأخذني أبي في رحلة بحريَّة؟"

ابتسمت والدته وقالت: "كلُّ هذه الأسئلة يا جون." ثمَّ اقتربت منه وضمَّته إلى صدرها، وقالت: "اشكرِ الربَّ أنَّه وضع قدميْكَ على اليابسة، واستمتعْ بإبقائهما على اليابسة في الوقت الحالي. والآن أين كنَّا؟ السؤال العاشر...".

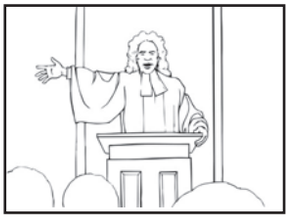

اعرض الصورة رقم ٢

لم يكن فِكْرُ الإبحار غريبًا عن جون، إذ من الصعب تجنُّبه في مكانٍ مثل وابينغ، حيث كانوا يعيشون. كانت وابينغ قرية في إنكلترا على ضفاف نهر التايمز خارج لندن مباشرةً، وكانت تعجُّ دائمًا بقباطنة البحار والبحَّارة وعمَّال الرصيف.

وكانت تضمُّ أيضًا كنيسة أولد غرافيل لَيْن، الكنيسة التي كانت أمُّ جون تصحبه إليها كلَّ يوم أحد.

في أحد أيَّام الآحاد، ظهر زائرٌ على المنبر بدل الدكتور جينينغز، راعي الكنيسة. جلس جون على مقعده يستمع إلى وعظ الدكتور إسحاق واتس الذي كان جون قد سمع عنه، فكثيرًا ما رنَّموا في كنيستهم العديد من الترانيم التي كتبها هذا الرجل، بما في ذلك ترانيم مشهورة مثل: "حين أرى صليب مَنْ قضى" وترنيمة "هذا هو اليوم السعيد". لكنَّ ترنيمة جون المفضَّلة كان واتس قد خصَّصها للأطفال، بعنوان "أُشيدُ بقوَّة الله العظيمة".

ثمَّ في طريق العودة إلى المنزل بعد انتهاء اجتماع الكنيسة، أمسك جون بِيَدِ أمِّه ورنَّم كلمات ترنيمته المفضَّلة:

"أُشيدُ بقوَّة الله العظيمة،

التي رفعت الجبال الشاهقة،

وبسطت البحار المائجة،

وشكَّلت السماوات العالية..."

ثمَّ قاطع ترنيمة جون سعال أمِّه الذي عاودها مجدَّدًا. وفي الأسابيع القليلة الماضية، ازداد سعالُها حدَّةً.

وعندما تمكَّنت من التحدُّث إليه أخيرًا قالت: "أرغب يا جون في إطلاعِك على أمرٍ ما. سوف أذهب فترةً من الوقت إلى منزل ابن عمِّي في الساحل. إذ يرى الطبيب أنَّ هواء البحر النظيف قد يساهم في تحسُّن صحَّتي".

فسأل جون: "أتقصدين كاتليت يا أمِّي؟ لطالما أخبرتِني عنها. كم أتوق لزيارتها! متى سوف نغادر؟"

اغرورقتْ عينا أمِّه بالدموع إذ راحت تقول: "لا، أنتَ لا تفهم يا جون، سأذهب وحدي، وأنتَ ستقيم مع عائلة مارسدن، إخوتنا في الكنيسة".

****

لكن طالت زيارة والدة جون القصيرة إلى الساحل ودامت شهورًا.

لم يكن جون يمانع حقًّا في البقاء مع عائلة مارسدن، إذ كانوا على قدر كافٍ من اللطف، لكنَّ الوجود في المنزل مع والدته شيء آخر.

اعرض الصورة رقم ٣

ذات يوم في شهر تمُّوز/يوليو، نادته السيدة مارسدن من غرفته قائلةً:

"يا جون، معي هنا شخص يريد رؤيتكَ".

سارع جون من غرفته حيث كان يقرأ، فقد ظنَّ أنَّها والدته، أو أنَّ والده عاد أخيرًا من رحلة بحريَّة!

لكن بدلًا من ذلك فوجئ جون بالدكتور جينينغز، راعي الكنيسة يقف في غرفة الاستقبال بوجهٍ يوحي بالجدِّيَّة ويقول: "مرحبًا يا جون".

ردَّ جون: "مرحبًا يا حضرة الراعي جينينغز".

فقال الراعي: "أخبرتني السيدة مارسدن أنَّك كنتَ مشغولاً بالقراءة بعد ظهر هذا اليوم".

أجاب جون: "نعم يا سيِّدي. أقرأ كتاب 'نظرة موجزة إلى كلِّ الكتاب المقدَّس' للدكتور واتس".

فقال الراعي: "هذا جيِّد يا جون. إنَّه كتاب ممتاز".

سكت الدكتور جينينغز لحظات ثمَّ قال: "أخشى يا جون أنِّي لم آتِ إلى هنا اليوم لأتحدَّث عن الكتب، أنا هنا لأنقل لك خبرًا مؤسفًا، فقد توفِّيت والدتكَ".

راحت دموع جون تتسابق على خدَّيه، فربَّت الدكتور جينينغز كتفه وقال له:

"أعلم يا جون أنَّكَ قد لا تفهم ما سأقول، لكنَّ الله إله كلِّ نعمة وصلاح حتَّى في موت أولاده. فمنه كلُّ الحياة، وعلينا أن نثق أنَّه عندما يستردُّها، فهذا للخير وليس للشرِّ".

اعرض الصورة رقم ٤

استمرَّ جون يقيم مع عائلة مارسدن خلال العام التالي، إلى أن عاد والده أخيرًا من رحلته البحريَّة. في البداية اعتقد جون أنَّ الأمور سوف تتحسَّن، ولكنَّ والده أعلن لاحقًا أنَّه سيتزوَّج مجدَّدًا وأنَّه سيرسل جون إلى مدرسة داخليَّة.

على مدى السنوات التالية، كان جون بالكاد يرى عائلته، إذ كان في مدرسة داخليَّة بعيدة. لم يمضِ وقت طويل حتَّى رُزِق والد جون وزوجته ثلاثةَ أطفال. وبدا أنَّ كلَّ انتباههما تركَّز على أولادهما الثلاثة، لذا ذات يوم فوجئ جون بوالده يعلن له قائلاً:

"لن تعود إلى المدرسة هذا العام يا جون. أنتَ في العاشرة من عمركَ الآن، أي كبير بما يكفي لترافقني في رحلتي التالية".

****

بعد بضعة أسابيع، استقلَّ جون السفينة، وقد لاحظ أنَّ كلَّ المكان في كل اتِّجاه يعجُّ بالحركة: كان عمَّال الرصيف ينقلون براميل الإمدادات، والبحَّارة يحملون أكياسًا من القماش، والضبَّاط يصدرون الأوامر.

نظر جون إلى أعلى الصاري، فرَصَد رجلاً يربط شراعًا.

ثمَّ سمع صوتًا قريبًا يقول له: "حذارِ، من الأفضل أن تنتبه لأنَّكَ إذا واصلتَ التحديق إلى فوق هكذا فقد تصبح هدفًا سهلاً لطيور النورس".

اعرض الصورة رقم ٥

كان ذلك صوتَ بحَّارٍ صغيرٍ يكبر جون بثلاث أو أربع سنوات تقريبًا، فقال لجون:

"اسمي بيل، بيل هيجينز، وأستطيع أن أخمِّن من نظراتك أنَّكَ لستَ معتادًا جدًّا ركوب هذه "السفينة أو أيَّة سفينة أُخرى مخصَّصة لهذا الغرض".

أجاب جون: "بالضبط، هذه المرَّة الأولى التي يصطحبني فيها والدي في إحدى رحلاته البحريَّة".

بدا على بيل بعض الذهول وقال: "والدُك؟ دعني أخمِّن، هل القبطان نيوتن هو والدك؟ حسنًا، من الأفضل أن أنتبه لكلماتي، وإلَّا أرسلتني إلى السجن، أليس كذلك؟"

ضحك جون وفرحَ في أن يجد مَنْ يعيره انتباهًا ولو مرَّةً واحدة.

ثمَّ أشار إليه بيل بالاقتراب منه وقال: "اسمحْ لي أن أعرِّفكَ باقي السفينة التي ستكون منزلكَ من الآن فصاعدًا".

وهكذا أصبح جون وبيل صديقيْن حميميْن للتو.

رُغمَ أنَّ السفينة كانت مجهَّزة ومستعدَّة للإبحار، فإنَّ سوء الأحوال الجويَّة أعاقهم عن الإبحار أسابيع عديدة. صحيح أنَّ جون كان يمضي مع والده فترةً أطول من أي وقتٍ مضى، إلَّا أنَّ والده القبطان كان دائم الانشغال بالتحضير للرحلة حتَّى إنَّه لم يكن يعير مكان وجود جون اهتمامًا.

ذات يوم على سطح السفينة، لفتَ بيل انتباه جون وهمس في أذنه قائلاً:

"اسمع يا جون، أعتقد أنَّ السفينة الحربيَّة أتش أم أس فيكتوري راسية قبالة بورفليت أسفل النهر. الآن، قد تظنُّ أنَّ هذه السفينة التي نحن عليها كبيرة الحجم ومهمَّة، لكنَّها لا تُعَدُّ شيئًا أمام السفن الحربيَّة التي فيها ١٠٠ بندقيَّة!"

راح بيل يتنقَّل من جانب إلى آخر ليتأمَّلها ثمَّ تابع يقول:

"سوف ننزل أنا وبعض الرجال إلى الشاطئ هذا الأحد لمعاينتها بأنفسنا. ماذا عنكَ؟ أتريد أن ترافقنا؟"

همس بيل بتفاصيل الزمان والمكان حيث سيلتقون. علم جون أنَّ والده لن يوافق، لكنَّه كان يعرف أيضًا أنَّ والده لن يلاحظ غيابه إذا ذهب.

****

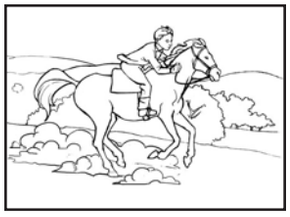

اعرض الصورة رقم ٦

في يوم الأحد المعيَّن، تسلَّل جون بعد الخدمات الصباحيَّة. كان الدكتور جينينغز قد أطال العظة عن المعتاد في ذلك الصباح، لذلك أدرك جون أنَّ عليه أن يسرع كي يلحق ببيل والآخرين ويصل في الوقت المحدَّد.

حثَّ حصانه على الانطلاق، ولكن عندما نزل من التلِّ إلى الرصيف، هدَّأ من سرعته، إذ كان الوقت قد فات، وكان بيل والآخرون يجذِّفون بالقارب الطويل نحو السفينة فيكتوري.

انزلق جون عن السرج وراح يتحسَّر محبطًا. لماذا لم ينتظروه بضع دقائق فقط؟ الآن عليه أن يجلس وينتظر ليسمع كلَّ شيءٍ عن مغامرة بيل. وكان متأكِّدًا من أنَّ بيل سوف يسخر منه لأنَّه تأخَّر.

لكن سرعان ما قاطعَ تذمُّره صوت صرخات استغاثة!

اعرض الصورة رقم ٧

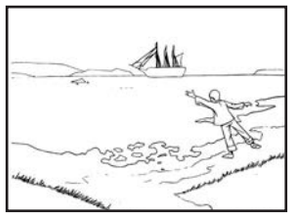

وإذ نظر جون إلى القارب الطويل، صُدم لرؤيته بعيدًا وصغيرًا يتمايل فجأةً ثم ينقلب، ويسقط بيل والآخرون في الماء.

أدرك جون سريعًا أنَّ بيل والآخرين كانوا بعيدين جدًّا عن اليابسة ولن يستطيعوا أن يسبحوا، وأيضًا بعيدين جدًّا عن السفينة ليستنجدوا بها، ثمَّ إنَّ بيل والآخرين، كحال معظم البحَّارة، ليسوا بارعين في السباحة.

مع وصول قارب النجاة، كان الوقت قد فات، إذ غرقوا جميعًا.

اعرض الصورة رقم ٨

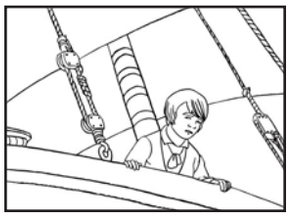

بعد بضعة أسابيع، وقف جون بهدوء على سطح سفينة والده. كان الجوُّ صافيًا وكانوا قد انطلقوا من نهر التايمز ودخلوا بحر الشمال، وفيما كان يشاهد الأمواج تضرب بقممها البيضاء عرض السفينة، بدا "البرميل الكبير الحجم" الآن وكأنَّه "فلِّين صغير الحجم".

كثيرًا ما كان جون يفكِّر في ذلك الحادث. ماذا كان ليحدث لو كان معهم وسقط في الماء؟ فهو لم يكن أبرع من بيل في السباحة.

صحيح أنَّ جون لم يكن يفكِّر كثيرًا في الله، لكن لفتَ هذا الحادث انتباهه، وأدركَ أنَّ يد نعمة الله وحدها هي التي منعته من الوصول إلى القارب الطويل في الوقت المحدَّد.

ووسط أصوات الأمواج، همس صلاةً قال فيها: "يا ربُّ أنا ... لا أعرف لماذا أنقذتَ حياتي، ولكن شكرًا لك. أعدكَ من الآن فصاعدًا بأنْ أعيش دائمًا حياةً مستقيمة تحسُنُ في عينيْك".

إنَّما ساور جون شكٌّ في مدى قدرته على الوفاء بوعده لله.

الفصل الثاني
تجاهُل النعمة

اعرض الصورة رقم ٩

وجد جون نفسه مجدَّدًا جالسًا على كرسيِّ أمام مكتب والده الضخم.

وفيما كان يميل بكرسيِّه إلى الأمام قال: "أيمكنني أن أمضي الآن يا أبي؟"

فردَّ أبوه بحزمٍ: "لا، لا يمكنكَ الذهاب! انظرْ يا جون، أنا بالكاد أعرف ماذا أفعل معك. لقد رافقتني في خمس رحلات ولم تنفع في شيء أبدًا".

ترنَّح جون بكرسيِّه إلى الوراء، إذ كان قد سمع هذا الكلام قبلاً.

تابع والده يقول: "لقد عملتُ كلَّ ما يُعمل لتكون ناجحًا! أرسلتُكَ إلى السيِّد ألماريز في إسبانيا، حيث كانت لكَ وظيفة رائعة تدير فيها حساباته، وماذا فعلت؟ تركتَ الوظيفة فقط لأنَّك اعتبرتها 'مملَّةً للغاية'."

الآن بدأ جون يحفُّ قدميْه بالمكتب أمامه.

وتابع الأب يقول: "أفترض أنَّك تفضِّلُ قراءة أحد هذه الكتب حول كيف يمكن أن يسير كلُّ شيء على خير ما يُرام، فيما يجلس الجميع ليأكلوا ويشربوا طوال الوقت. حسنًا، دَعْني أخبركَ شيئًا يا بنيَّ. العالم الحقيقي لا يبدو كذلك. في العالم الحقيقي، الناس الحقيقيُّون يعملون بجدٍّ واجتهاد ليجنوا أموالاً كثيرة، وإلَّا أصبحوا فقراء معدمين. أتفهم ما أقول!؟"

كان جون يعلم أنَّ المزيد من التأنيب بانتظاره ما لم يُبدِ أسفًا وندمًا، لذا راح يقول: "أنا آسف يا أبي، أعلم أنِّي خيَّبتُ أمَلَكَ. ليس الأمر أنَّني لا أقدِّر كلَّ ما فعلتَ من أجلي. الفكرة فقط ... هي أنَّني لا أعتقد أنَّني خُلِقْتُ لأكون قبطانًا مثلك".

تنفَّس والده الصعداء وقال: "يا جون، لا أتوقَّع أن تكون قبطانًا مثلي. لكنِّي أريد منكَ أن تُثبِتَ جدارتكَ وكفاءتكَ في أيِّ عملٍ تختاره".

ردَّ جون: "حسنًا يا أبي. سأحاول وأكون أكثر تركيزًا وجدِّيَّة".

وتابع والده يقول: "الآن، لديَّ فرصةٌ أُخرى لكَ. عرضَ صديقي جوزيف مانيستي اصطحابك إلى جامايكا لمساعدته في إدارة مزرعة قصب السكر. إذا أثبتَّ جدارتكَ يا جون، قد تجد نفسكَ في غضون أربع أو خمس سنوات ثريًّا جدًّا ومسؤولًا عن مزرعتك الخاصَّة".

لم يكن جون يمانع في التفكير في الحصول على مالٍ كثير لإنفاقه.

فقال له والده: "ستبحر خلال ثلاثة أسابيع يا جون ... وفي حال كنتَ تتساءل أين ستقضي وقتكَ إلى أن يحين وقت المغادرة، لديَّ وظيفةٌ لك".

شرح والده تفاصيل صفقة تجاريَّة كان يريد لجون أن يتولَّاها في مدينة كينت المجاورة.

وأضاف: "آهٍ يا وجون، أريد منكَ في أثناء وجودكَ هناك أن تزور عائلة كاتليت، إنَّهم أقارب والدتك، ويرغبون في مقابلتك".

****

بعد أسبوعيْن، كان جون على طريقٍ ثلجيٍّ بالقرب من كينت. كان قد أنهى المهمَّة التي كلَّفه والده أن يعملها وكان حريصًا على ركوب السفينة إلى جامايكا.

الشيء الوحيد الذي تبقَّى له أن يعمله هو القيام بزيارةٍ سريعةٍ لعائلة كاتليت.

لكنَّ الثلوج المتساقطة حديثًا أعاقت وصول جون إلى باب بيت عائلة كاتليت الأمامي. لذا كان عليه أوَّلاً أن يعبر الجرف. حاول بقدميْه إزالة الثلج وقرعَ الباب بحدَّة. ثمَّ تمتم بصوتٍ خافتٍ: "دعوني أنتهي من هذا".

اعرض الصورة رقم ١٠

فتحتِ الباب فتاةٌ هي آية من الجمال، لم يسبق جون أن رأى لجمالها نظيرًا، وكانت تصغره ببضع سنوات. فقالت له: "مرحبًا، أيمكنني مساعدتكَ يا سيِّدي؟"

انعقد لسان جون لحظة، ثمَّ قال: "آه ... نعم ... أنا جون".

فردَّت: "جون مَنْ؟"

فقال: "نيوتن ... جون نيوتن".

لم يسبق أن وقع جون في الحبِّ قبلًا، ولكنَّه أدرك من النظرة الأولى أنَّه أحبَّ تلك الفتاة. ثمَّ سرعان ما علم أنَّ اسمها بولي، وأنَّها ابنة عائلة كاتليت الكبرى.

دعت عائلة كاتليت جون إلى المكوث معهم قدر ما يشاء، وكان جون سعيدًا بقبول العرض، مع أنَّه فضَّل عدم البوح بمشاعره من نحو بولي. وسرعان ما انتهت زيارته التي استمرَّت ثلاثة أسابيع كاملة!

كان جون يعلم أنَّ السفينة المغادرة إلى جامايكا سوف تنطلق وتفوته الفرصة التي رتَّبها له والده، لكنَّه لم يأبه بالأمر، إذ لم يرغب في مغادرة إنكلترا ليكون مالك مزرعة قصب السكر، بل أراد أن يكون مع بولي، وكلُّ ما يريده جون يسلب عقله.

بدا والد جون غاضبًا جدًّا عندما عاد جون أخيرًا إلى المنزل. فقد أضاع مجدَّدًا فرصة مرتَّبة بعنايةٍ. ومع ذلك، سرعان ما أفسح غضب والده في المجال أمام خطَّة أُخرى لرؤية جون ينجح. هذه المرَّة كان على جون أن يبحر في البحر الأدرياتيكي (اعرضِ الخريطة) مع قبطان آخر، صديق لوالد جون. إنَّما كان عليه خلال الرحلة أن يكون بحَّارًا عاديًّا، دون أيِّ امتيازات خاصَّة.

اعرض الصورة رقم ١١

أبحر جون هذه المرَّة، وسرعان ما تعلَّم أن يكون بحَّارًا ماهرًا، لكنَّه اكتسب أيضًا العديد من العادات الخاطئة. فقد كان كثيرون من البحَّارة يكثرون من شرب الكحول، ويشتمون بعضهم بعضًا وغير ذلك. وإذ كان جون يرغب في كسب شعبيَّة لدى البحَّارة، استسلم لهذه الإغراءات وانضمَّ إليهم.

عندما عاد إلى إنكلترا في نهاية العام، لم تشغله سوى فكرة واحدة: متى سيرى بولي مجدَّدًا؟

وإذ جلس جون مرَّة أُخرى أمام مكتب والده، قال له هذا الأخير: "لا أفهم سبب رغبتكَ في زيارة عائلة كاتليت مجدَّدًا في وقت قريب جدًّا".

لم تكن لدى جون إجابة يقدِّمها.

فتابع أبوه يقول: "تأكَّدْ فقط أن تعود في الوقت المناسب لمقابلة السيد داوز. فإنَّه يبحث عن عددٍ قليلٍ من الرجال الماهرين للعمل على متن سفينته، وقد رتَّبت أن تكون واحدًا منهم".

فأجاب جون: "حسنًا يا أبي".

هذه المرَّة جرى جون بأسرع ما يمكن إلى منزل عائلة كاتليت، مع أنَّه كان ما يزال يكتم مشاعره من نحو بولي ويخفيها عنها وعن عائلتها، إلَّا أنَّه لم يكن يخطئ في قلبه. وعندما حان وقت المغادرة، تجاهل جون مسؤوليَّاته، وبدلاً من ذلك، مكث مع عائلة كاتليت أكثرَ من شهر!

كان ما يزال هناك شيء واحد يزعج جون. فقد أراد أن يتزوَّج بولي يومًا ما، لكن كيف له أن يفكِّر في الأمر وهو لا يملك وظيفة ولا منصبًا. بالطبع، عائلتها لن توافق على ذلك!

ذات صباح في شهر آذار/مارس، سافر جون بمفرده إلى بلدة تشاتام القريبة. وبدا أنَّ هواء البحر يساعده دائمًا على التفكير بشكل أفضل.

وفيما كان يشقُّ طريقه ببطء إلى الشارع الرئيسي، ظلَّ يفكِّر في مشكلته. وراح يتمتم قائلاً: "لا بدَّ من وجود طريقة ما".

اعرض الصورة رقم ١٢

فجاء صوتٌ من خلفه يقول: "يبدو أنَّ هذا الرجل ضالٌّ".

التفت جون ليرى لا رجلاً واحدًا بل ثلاثة رجال يلاحقونه، وقال أحدهم:

"لربَّما نقدر أن نساعده. ألا توافقني الرأي يا سيِّدي؟"

تمَّ توجيه السؤال إلى قائد المجموعة. فعرفَ جون من سترة الرجل الزرقاء أنَّه ضابط في البحريَّة البريطانيَّة.

ابتسم الضابط ابتسامةً خافتةً قبل أن يقول: "أنا موافق. أعتقد أنَّ هذا الرجل يبحث عن فرصة للخدمة على متن سفينة هاروتش. أليس هذا صحيحًا يا سيِّدي؟"

أدرك جون ما حدث. فقد قبضت عليه فرقة التجنيد الإجباري! كانت فرق التجنيد الإجباري عبارة عن مجموعات من الرجال ترسلهم البحريَّة الملكيَّة للعثور على مجنَّدين جدد للسفن البحريَّة. وكانت لديهم طرق لإقناع كلِّ مَنْ وجدوه للخدمة. ومع بداية الحرب مع فرنسا، اختار جون أسوأ وقت للسير بمفرده في شوارع مدينة ساحليَّة.

قاد الرجال الثلاثة جون إلى مبنى في المدينة، وأقفلوا عليه مدَّةَ ثلاثة أيَّام، فيما كانوا يجوبون الشوارع بحثًا عن المزيد من "المتطوِّعين".

وصل خبر ما حدث إلى والد جون، ولكن كلَّ محاولاته لإطلاق سراح جون باءت بالفشل. وهكذا اقتيد جون وآخرون إلى سفينة هاروتش، حيث عمل جون كبحَّار.

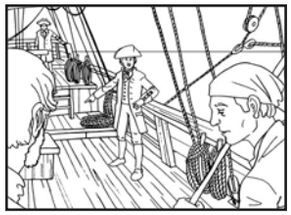

اعرض الصورة رقم ١٣

بعد أربعة أيَّام من صعوده السفينة، أُعلنَت الحرب على فرنسا. وسرعان ما أبحرت سفينة هاروتش، وراحت تجوب البحر جيئة وذهابًا قبالة الساحل لتوفير الحماية للسفن البريطانيَّة الأُخرى. وبفضل خبرة جون في البحر وصيت والده، سرعان ما تمَّت ترقيَتُه إلى رتبة ضابط بحري. وهذا كان يعني نوعيَّة طعامٍ وطبابةٍ أفضل!

لكن سرعان ما أضاع جون الفرصة.

فقد عاملَ البحَّارة الذين تحت إمرته بقلَّة اهتمام، ولم يكن يحترم أصحاب السلطة. ذات مرَّة، عندما كانت السفينة راسية في الميناء، مُنح جون الإذن بالذهاب إلى الشاطئ ليومٍ واحدٍ. وبدلاً من ذلك، غاب عشرة أيَّام حتى يتمكَّن من زيارة عائلة كاتليت ورؤية بولي مرَّة أُخرى! عندما عاد أخيرًا، كان القبطان كارتريت مستاءً للغاية لدرجة أنَّه هدَّد بخفض رتبة جون.

بعد لقائه مع القبطان، أخذَهُ أحد الضبَّاط جانبًا وقال له:

"انظرْ يا نيوتن. لا أعتقد أنَّك تدرك مدى كرم القبطان كارتريت معك".

سأل جون: "نعم يا سيِّدي. أهذا كلُّ شيء؟"

فأجاب: "أهذا كلُّ شيء؟ أهذا كلُّ شيء!؟ يجب أن تكون ممتنًّا يا نيوتن لأنَّك لم تُجلَد!"

لزمَ جون الصمت.

تابع الضابط يقول: "أنصحكَ بتغيير موقفكَ وأسلوبكَ، وإلَّا فَستصعب عليكَ وعلينا الرحلة الطويلة إلى جزر الهند الشرقيَّة".

اعرض الصورة رقم ١٤

نظر جون سريعًا وقال: "ما الذي قلتَه يا سيِّدي؟ رحلة إلى أين؟"

فأجاب: "إلى جزر الهند الشرقيَّة يا نيوتن. ألم تسمع؟ لقد تمَّت إعادة تكليفنا".

لم يصدِّق جون ذلك! كانت جزر الهند الشرقيَّة في منتصف الطريق حول العالَم! عرف جون أنَّه بمجرَّد إبحارهم، سيغيبون عن إنكلترا أربع أو خمس سنوات على الأقلّ. ولن يكون هناك سبيل لرؤية بولي.

خلال الأشهر القليلة التالية، وضع جون خطَّة سرِّيَّةً. ولدهشة الجميع، بدت الخطَّة مُجْدِيَة في البداية، فكلَّما طُلِبَ منهم تأدية مهمَّة ما، كان جون أوَّل المتطوِّعين.

ذات صباح، لفت أحد الضباط انتباه جون إذ قال: "لا بدَّ لي من القول يا نيوتن، إنَّ تغييركَ رائع للغاية. فالقبطان كارتريت سعيد بتقدُّمك، حتَّى إنَّه طلب منِّي تكليفك أخْذَ ثلاثة رجال والذهاب إلى الشاطئ في بليموث لجلب المزيد من الإمدادات قبل أن ننطلق".

فقال جون مبتسمًا: "حاضر يا سيِّدي. حالًا يا سيِّدي".

كانت هذه الفرصة التي يبحث عنها.

كان جون ينوي الهرب، فقد كانت بليموث قريبة من مكان وجود والده، لذا كان يأمل أن يصل إليه. وإذا توسَّل إليه، فربَّما يجد له وظيفة أُخرى تسمح له بأن يكون أقرب من بولي.

في اليوم التالي، وصل جون إلى الشاطئ في الزورق الطويل التابع للسفينة. وفيما قام الرجال الآخرون بتحميل القارب، اختفى جون في ظلال الرصيف.

غيَّر جون ملابسه بسرعة ثم ساوم مزارعًا على استخدام حصانه. وهرع بأسرع ما يكون للعثور على والده.

عند مفترق الطريق، شدَّ اللجام ثمَّ فكَّر: الآن في أيِّ طريق أذهب؟ تمنَّى جون لو يعرف المنطقة بشكلٍ أفضل. لم يكن هناك وقت يضيِّعه، لأنَّهم سيبحثون عنه قريبًا، فكان عليه أن يخمِّن.

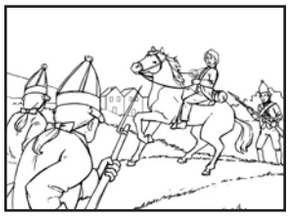

اعرض الصورة رقم ١٥

هُرِع جون في أحد الطرق. وإذ كان يدور حول المنعطف، شدَّ اللجام مرَّة أُخرى. لكن هذه المرَّة لم يكن هناك مفترق طرق، بل مجموعة من الجنود.

فنادى أحدهم: "يا صاح! إلى أين أنت متَّجه بهذه السرعة؟"

كان على جون أن يفكِّر بسرعة، لذا أجاب: "أنا ... متجِّه إلى إكستر للعثور على طبيب، فزوجتي على وشك أن تلد!"

قال آخر: "إن كنتَ متَّجهًا إلى إكستر، فمن الأفضل أن تسرع!"

تنفَّس جون الصعداء وهمَّ بالمغادرة.

لكنَّ الجندي أضاف: "لكنَّ إكستر ليست بهذا الاتِّجاه. اعترفْ بأنَّك تجري لسببٍ آخر، أليس كذلك؟ ربَّما ينبغي أن نلقي نظرةً سريعة على حقائبك".

****

وهكذا قُبِضَ على جون. وبحلول الليل، أُعيد إلى سفينة هاروتش تحت حراسة مسلَّحة.

ثمَّ في صباح اليوم التالي، استُدعي أمام الطاقم بأكمله.

فقال القبطان كارتريت: "اشهدوا جميعًا أنَّ هذا الرجل قد هجر سفينة جلالة الملك هاروتش، وبذلك يكون قد تجاهلَ سلطة جلالة الملك واستحقَّ العقوبة البدنيَّة. يا ملازم، نفِّذِ الحكم".

اعرض الصورة رقم ١٦

فخلعوا عن جون قميصه، وربطوا ذراعَيْه بشبكةٍ حديديَّة. ولم يكن هناك مفرٌّ من هذه العقوبة.

أمر القبطان الملازم الأوَّل بجلده بالسياط فجفل جون من شدَّة الألم عندما بدأوا بجَلْده.

الفصل الثالث
رفضُ النعمة

اعرض الصورة رقم ١٧

تمدَّد جون نيوتن على أرجوحته الشبكيَّة على السطح السفلي من سفينة هاروتش. كان قد مرَّ أسبوعان على تعرُّضه للجَلْد على سطح السفينة بسبب هروبه. وكان ظهره ما يزال ملتهبًا ويؤلمه، واليأس يملأُه.

كانت السفينة قد انطلقت من بليموث في إنكلترا بعيدًا عن بولي كاتليت، الفتاة التي أحبَّها. وكان محاصرًا على متن السفينة، وقلبه يغوص في داخله حزنًا على فكرة عدم رؤيتها مجدَّدًا قبل خمس سنوات. والأسوأ من ذلك، لم يرغب أحد على متن السفينة أن يتعامل معه. الآن بعدما أصبح مجرَّد بحَّار عادي، همس البحَّارة الآخرون وسخروا منه، متذكِّرين فخره عندما كان ما يزال ضابطًا.

يومًا بعد يوم، كان وَضْعُ جون يسير من سيِّئ إلى أسوأ. ففي لحظةٍ ما، كان يملأُه الغضب على الجميع، حتَّى إنَّه تخيَّل أنَّه يقتل القبطان. وفي لحظةٍ أُخرى، فكَّر جون في وضع حدٍّ لحياته بإلقاء نفسه في البحر. إنَّما كان ما يزال هناك ما يمنعه من التنفيذ في كلتا الحالتيْن.

****

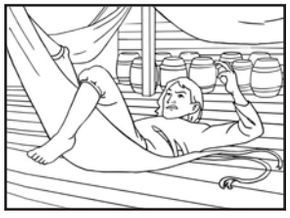

اعرض الصورة رقم ١٨

قاطعتْ كلماتِ نيوتن هزَّةٌ مفاجئةٌ. فقد قصَّ الضابط حَبْلَ أحد طرفَيْ أرجوحته، ما أدَّى إلى سقوطه أرضًا.

فصاح الضابط:"هيَّا انهضِ الآن وقِفْ على سطح السفينة كما أمرتكَ!"

نهض نيوتن عن الأرض وفكَّر في تنفيذ خططه وقَتْلِ الضابط بدلاً من القبطان، لكن كلُّ ما أمكنه قوله هو: "حسنًا، نهضتُ".

عندما وقف جون أخيرًا على سطح السفينة، لاحظ نشاطًا غير عاديٍّ. فقد كان بحَّارٌ آخر يحمِّلُ أمتعته على زورق طويل.

سأل جون بحَّارًا قريبًا منه: "إلى أين يذهب؟"

أجابه: "لقد استُبدِل ببحَّارٍ من سفينة تجاريَّة. سمعتُ أنَّهم يتطلَّعون لاستبدال بحَّار آخر".

فكَّر جون أنَّ أيَّ مكانٍ سيكون أفضل من هذه السفينة.

فسارع إلى ملازم قريب.

استهلَّ كلامه مُبْدِيًا قدرًا كبيرًا من الاحترام قائلاً: "عفوًا يا سيدي، أودُّ أن أتطوَّع لأكون البحَّار الآخر المُستبدَل في هذه السفينة".

ردَّ الضابط ساخرًا: "لا أظنُّ أنَّ أحدًا يرغب في أخذك يا نيوتن. قد يُلزموننا الدفع لهم كي يأخذوك... ومع ذلك سيكون من الرائع التخلُّص منك. انتظر هنا".

شاهد جون الملازم يتحدَّث مع القبطان كارتريت وقبطان السفينة التجاريَّة. وأخيرًا عاد إلى جون، قائلاً:

"حسنًا يا نيوتن، احزمْ حقيبتك. لقد تمَّ طردكَ للتو من خدمة جلالة الملك."

****

في غضون نصف ساعة، حزم جون حقائبه وتسلَّق سفينة بيغاسوس، وهي سفينة تجاريَّة يقودها رجل يدعى بنروز. فسلَّم القبطانُ على جون وقال:

"سمعتُ أن اسم عائلتك هو نيوتن. هل تربطكَ أيَّة صلة قرابة بالقبطان جون نيوتن من وابينغ؟"

فأجاب جون: "إنَّه أبي".

تابع القبطان يقول: "حسنًا، أرحِّب بكَ على متن السفينة لكونكَ ابنًا لصديقٍ عزيزٍ. يشرِّفني أن تنضمَّ إلينا. سوف يريكَ السيد بلانت، مساعد القبطان مكان مبيتكَ".

تبع جون السيد بلانت، ولكن عندما نزلا تحت سطح السفينة توقَّف مساعد القبطان لحظة وقال:

"يا سيِّد نيوتن، أريد أن تعلم أنَّني لا أشارك القبطان بنروز في حماسه لوجودكَ على متن السفينة. فكلُّ من لا يصلح للبحريَّة الملكيَّة لا يصلح لهذه السفينة... لكن آمل أن تثبت لي أنِّي على خطأ".

اعرض الصورة رقم ١٩

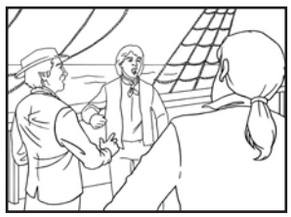

لكنَّ جون نيوتن لم يثبت خطأ السيد بلانت.

وفي الأسابيع التي تلت، أصبح جون معروفًا على متن بيغاسوس بكسله. كما راح يستغلُّ كلَّ فرصة ممكنة ليلْعَن ويحلف لنيل إعجاب زملائه البحَّارة.

بالتأكيد، لم تعجب تصرُّفاته القبطان بنروز، لكنَّه تحمَّل جون حتَّى بعد أن ألَّف أغنية للطاقم يسخرون فيها من القبطان!

ولكن تغيَّر كلُّ ذلك لاحقًا خلال العام عندما مَرِضَ القبطان بنروز فجأةً ومات، وتمَّ تعيين قبطان جديد اسمه السيد بلانت.

عرف جون أنَّ القبطان بلانت، بمجرَّد أن تسنح له الفرصة، سوف يستبدل جون مرَّة أُخرى ببحَّار عاديٍّ آخر من سفينة تابعة للبحريَّة. لذا كان عليه أن ينزل من السفينة بسرعة.

كان يسافر على متن سفينة بيغاسوس رجل اسمه آموس كْلُوْ، كان جون قد سمِعَه يروي قصصًا عن "مصنعٍ" كان يديره في الساحل الأفريقي، لم يكن مخصَّصًا لتصنيع أشياء، بل كان مكانًا رهيبًا يحفظون فيه العبيد الأفارقة مكبَّلين بسلاسل إلى أن يحمِّلوهم على السفن ويبيعوهم في الجانب الآخر من المحيط. ما لفت انتباه جون حقًّا هو قصص كْلُوْ عن الأموال التي يمكن جَنْيُها. فكَّر جون في كلِّ ما يمكنه فعله لو توفَّر لديه المال. ربَّما سوف يتمكَّن حتَّى من العودة إلى إنكلترا والزواج من بولي!

وافق كْلُو على اتِّخاذ جون شريكًا تجاريًّا، ووافق القبطان بلانت بكلِّ سرور على ترك جون ينصرف.

كان جون سعيدًا جدًّا بالمغادرة لدرجة أنَّه لم يطلب حتَّى أجره. كان يعتقد أنَّه سيجني الكثير من الأموال قريبًا جدًّا.

****

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تبخَّرت أحلام جون.

إذ قبل أن يبدأ العمل مع كْلُو للحصول على عبيد، مَرِضَ مرضًا شديدًا. وبدلاً من العمل، كان عليه ملازمة منزل كْلُو أثناء سفره باتِّجاه النهر.

قال كْلُو وهو يهمُّ بالسفر: "امرأتي باي ستعتني بك".

لكن سرعان ما اكتشف جون أنَّ باي لا ترغب في الاعتناء به. وبدلاً من ذلك، عاملته كأحد عبيدها، وراحت تعطيه القليل من الماء وبضع بقايا وجباتها.

سرعان ما ساءت حالته. وفي أحد الأيام، شعر بضعفٍ شديدٍ نتيجة الحمَّى، حتَّى إنَّه بعد تسوُّل بعض الطعام، سقط صحنه من يده أمام باي.

فصرخت أمام كلِّ عبيدها وقالت: "أهكذا تشكرني على لطفي؟! حسنًا، لن تحصل على الطعام أبدًا بعد الآن!"

اعرض الصورة رقم ٢٠

في تلك الليلة كان جون جائعًا جدًّا، حتَّى إنَّه تسلَّق نافذة غرفته إلى الفناء الذي يضيئه ضوء القمر. وفيما كان يبحث يائسًا عن شيءٍ يأكله، كانت معدته تتمزَّق ألمًا.

وأخيرًا وجد بعض نباتات الكسافا تنمو في مكانٍ قريبٍ. وغالبًا ما كان يتمُّ غلي جذورها وأكلها. قام جون باقتلاعها من الأرض بأصابعه وحاول أكلها نيئة. وسرعان ما دفعته الجذور غير المطبوخة إلى التقيُّؤ.

لا شكَّ أنَّ جون كان سيموت مرضًا وجوعًا لولا عطف الآخرين. إذ بدأ عبيد باي الآخرون يعطون جون الطعام خلسةً حتى يتحسَّن. كما حملوا سرًّا رسائل كتبها جون يائسًا إلى والده طالبًا المساعدة.

عندما عاد كْلُو أخيرًا، شَكَا له جون سوء المعاملة، لكنَّه لم يصغِ إليه، لأنَّ باي كانت تقف قربه.

فرح جون عندما حان وقت رحلة العمل التالية، إذ كان قد تحسَّن بما يكفي ليرافق كلو. ولكن بعدما شهد أحد التجَّار على جون زورًا أنَّه سرق، بدأ كْلُو يعامل جون معاملة العبيد أيضًا!

كان جون مقيَّدًا بالسلاسل على متن الزورق النهري الصغير. وكان المصدر الوحيد لطعامه ومائه هي الأسماك التي يصطادها وزخَّات المطر اليوميَّة.

استمرَّ كلو وباي يُعاملان جون معاملة العبيد حتَّى كاد يفقد عقله. وإذ كان على وشك أن يفقد الأمل في أن يكون حرًّا، قرَّرا بيع جون إلى مالك مصنع آخر في المنطقة. وهذا الرجل، بدلاً من إبقاء جون في العبوديَّة، أطعمه وكساه ودفع له مقابل عمله. وبعد فترة وجيزة، لم يستعدْ جون صحَّته فحسب، بل حصل أيضًا على جزء من ملكيَّة المصنع.

سرعان ما نسي جون أيَّام العبوديَّة، ونسي ما كان يشعر به حين عومِلَ معاملة العبد، وبعدما أصبح يملك بعض المال والسلطة، قرَّر أن يعيش حياته تمامًا كما أراد، وأن يأكل ويشرب ويستخدم منصبه لمعاملة عبيده بقسوة وإجبارهم على فعل كلِّ ما يريد، حتَّى إنَّه بدأ في التعرُّف بالآلهة المزيَّفة التي يعبدها السكَّان الأصليُّون، وبدأ يشاركهم في طقوسهم الغريبة والشرِّيرة. وهكذا بدا أنَّ جون لا يمكن أن يبتعد عن الله أكثر من ذلك.

لم يعلم جون أنَّ هناك خطَّة لإنقاذه.

بالعودة إلى إنكلترا، لم ينسَ والد جون ابنه. وقد تلقَّى الرسائل التي أرسلها جون عندما كان عبدًا لكْلُو وباي. ورغمَ كلِّ إخفاقات جون السابقة، كان ما يزال والده يشفق عليه. لقد عرف عن سفينة تدعى غرايهوند كانت متَّجهة إلى الساحل الأفريقي حيث يوجد جون. فأرسل إلى القبطان سوانويك أوامر بمحاولة العثور على جون وإنقاذه، إن أمكن.

اعرض الصورة رقم ٢١

في أحد أيَّام شباط/فبراير الدافئة، كان جون يستريح على الشرفة الأماميَّة لمنزله عندما سمع رجالًا يقتربون. كان أحد شركائه في العمل يرافقه ثلاثة رجال آخرون. فقال شريكه مشيرًا إلى جون: "ها هو، هذا هو جون نيوتن".

جلس جون متوقِّعًا إبرام صفقة لبيع بعض العبيد.

فقال القبطان سوانويك: "جون نيوتن، كنتُ أبحث عنك".

تساءل جون عمَّا إذا كان مَدينًا للرجل ببعض المال، فقال: "أتبحث عنِّي أنا؟ لماذا؟"

أجاب الرجل: "أرسلني والدُكَ لإنقاذكَ وإعادتكَ إلى إنكلترا على متن سفينتي".

توقَّف جون لحظة، ثمَّ تذكَّر الرسائل التي أرسلها. ولكن الآن، إذ نظر حوله إلى منزله، وفكَّر في الأموال التي كان يكسبها، ضحك وقال:

"إنقاذي؟ أعتقد أنَّكَ لاحظتَ أنِّي لستُ بحاجة إلى إنقاذ. أخبرْ والدي أنَّني لا أحتاجُ إليه".

ثمَّ وقف جون واستدار بوقاحةٍ عائدًا إلى الداخل.

فقال له الرجل: "انتظرْ دقيقة يا نيوتن. أنتَ لا تدرك كم أنتَ محظوظ بأنِّي وجدتُكَ، كنتُ على وشك الإبحار ومغادرة هذه القطعة من الأرض لولا أنِّي رأيتُ صديقكَ هنا يدعو إلى التجارة".

ضحك جون مرَّة أُخرى وقال: "حسنًا، أعتقد أنَّكَ أنتَ المحظوظ، هيَّا تاجرْ. أنا سأكون في الداخل".

لم يكن القبطان سوانويك ينوي الاستسلام، لذا حاول ثانيةً وقال:

"قبل أن تذهب يا نيوتن، هناك ما يجب أن تعرفه. أراد والدكَ أن يخبركَ أنَّكَ حصلتَ على ميراث كبير. يبدو أنَّ عمَّةً لكَ توفِّيت وتركت لكَ ثروتها!"

استدار جون عند الباب وسأل: "ماذا تقول؟"

فردَّ القبطان: "لقد ورثتَ ثروةً! وقد تلقَّيتُ تعليمات بإعادتك إلى المنزل. ستكون ضيفي الشخصي على متن غرايهوند".

اعرض الصورة رقم ٢٢

وهكذا في غضون ساعة من الزمن، حزم جون أمتعته وغادر منزله الأفريقي. كان الخبر أروع من أن يُصدَّق، إذ لم يحلم يومًا أن تكون له مثل هذه الثروة! هكذا سيكون لديه ما يكفيه للزواج من بولي كاتليت.

في الواقع، كان الخبر بحقٍّ أغرب من أن يُصدَّق. فقد اختلق القبطان سوانويك القصَّة ونجح. وبات جون الآن راكبًا على متن سفينة غرايهوند.

لم يَطُلِ الوقت حتَّى تساءل القبطان سوانويك عن سبب دخوله في كلِّ هذه المشاكل لإنقاذ جون. فجون كراكبٍ لم يكن مسؤولاً على متن السفينة. وبدلاً من ذلك، قضى الوقت في الشرب واللعن. عندما روى جون قصص مغامراته السابقة للطاقم، أخذ القبطان سوانويك فكرة سيِّئة جدًّا عن جون، وقال يومًا مازحًا في أثناء تناول العشاء:

"أنا نفسي لستُ قدِّيسًا يا سيِّد نيوتن، لكن إن وُجِدَ يونان يومًا فسيكون أنت، أخشى أنَّنا لن نجني خيرًا من وجود متمرِّدٍ مثلك على متن سفينة غرايهوند".

لم يفكِّر جون كثيرًا في القبطان سوانويك أو في كلماته.

وبعد الانتهاء من تجارتهم على طول الساحل الأفريقي، عادتْ سفينة غرايهوند في رحلةٍ طويلةٍ نحو إنكلترا بعدما سارت في دائرة كبيرة في الطريق التجاري في المحيط الأطلسي.

وللقضاء على ملل الرحلة الطويلة في البحر، تحوَّل جون من الشرب إلى القراءة. وفي إحدى الليالي قرأ كتابًا تحدَّث عن عيش حياةٍ مكرَّسةٍ تمامًا لله وما يجلبه ذلك من سلام وفرح. وكان كلَّما قرأ جون أكثر، يتذكَّر حياته ومحاولاته البحث عن الشبع في كلِّ ما يقدِّمه العالَم.

وفي سكون مقصورته، تساءل: "ماذا لو كانت هذه الأمور صحيحة؟" لكنَّه سرعان ما أبعد عنه هذا الفكر، وأغلق الكتاب وخلد للنوم.

****

في منتصف الليل، استيقظ جون فجأةً على صوت الأمواج الهائجة، وعلى صراخ راكبي السفينة تعلو: "السفينة تغرق!"

فقد حاصرتهم عاصفة هوجاء في شمال المحيط الأطلسي. ومع تدفُّق المياه إلى مقصورة جون، نهض مسرعًا وصعد السلَّم إلى سطح السفينة.

اعرض الصورة رقم ٢٣

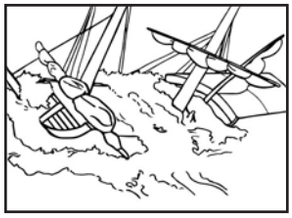

فصرخ القبطان: "يا نيوتن! أحضر السكِّين من المقصورة!"

عاد جون إلى السلَّم مفسحًا في المجال لأحد أفراد الطاقم أن يأخذ مكانه، وبرعبٍ شديدٍ نظر جون ورأى البحر يجرف هذا الرجل في لحظةٍ ويغرقه. وهكذا لولا تلبيته طلب القبطان، لكان هو الذي ستبتلعه الموجة!

بدت نجاة جون موقَّتة إذ إنَّ الأمواج ضربت السفينة بأكملها موجةً تلو الأُخرى. وقد تمَّ تدمير جزء من القوس وغمرته المياه. وظلَّ طاقم السفينة وجون ساعاتٍ يدفعون المياه ويخرجونها مع استمرارها بالتدفُّق.

عندما نظر القبطان إلى وضعهم اليائس التفتَ إلى جون وقال:

"ألم أقلْ إنَّك يونان! لا شكَّ أنَّنا سنموت جميعًا ما لم نرمِكَ في البحر!"

استمرَّ الطاقم يحارب العاصفة حتَّى ساعات الصباح. في الصباح، هدأت الرياح قليلاً، لكن كان ما يزال هناك احتمال ضئيل في أن تغرق السفينة.

اعرض الصورة رقم ٢٤

صرخ القبطان أمام الطاقم: "اجمعوا كلَّ الخشب الذي قد تجدونه لسدِّ هذا الثقب". ثم التفت إلى جون وقال: "هذا أملنا الوحيد".

لم يستطع جون سوى أن يجيب: "إذا لم يتمَّ سدُّ الثَّغرة، فليرحمنا الربُّ!"

الفصل الرابع
الحصولُ على النعمة

اعرض الصورة رقم ٢٤

خاف جون نيوتن على حياته. فقد كان، هو وأعضاء الطاقم الآخرون، في سفينة غرايهوند في وسط عاصفة شمال الأطلسي، التي قذفت بالفعل رجلًا في البحر وأغرقته. وكلُّ ما استطاع جون فعله هو أن يصرخ: "يا ربُّ ارحمنا".

كانت هذه المرَّة الأولى التي يدعو فيها جون الله في خوفٍ ومهابة حقيقيَّيْن، لكنَّه كان يخشى أن يكون الوقت قد فات.

مع أنَّ رياح العاصفة بدأت تتلاشى قليلاً، فإنَّ السفينة كانت قد تضرَّرت، إذ حدث ثقبٌ كبيرٌ في قوسها وكان الماء يتدَّفق من أماكن عديدة. بدت مسألة وقت قبل أن تبتلعهم المياه.

قضى أفراد الطاقم اليوم كلَّه يضخُّون المياه ويخرجونها يائسين، فيما حاول القبطان توجيه السفينة بأشرعتها الممزَّقة.

مع اقتراب الليل، كان الجميع مرهقين.

نادى القبطان: "يا نيوتن، لقد قضيتَ في البحر وقتًا أكثر من معظم طاقمي. تولَّ القيادة وقُدِ السفينة إذا كنت تريد أن تعيش".

وفيما كان جون يقود السفينة خلال الليل، ظلَّ يفكِّر: "كيف لله أن يرحمني؟ وأنا لعنتُ اسمه ورفضتُ نعمته مرارًا وتكرارًا. هذه هي بالتأكيد العقوبة التي أستحقُّها!"

كانت السفينة ما تزال تطفو، لكنَّ الرجال كانوا يعلمون وقتئذٍ أنَّهم ما يزالون في خطر. فقد جرف البحر كلَّ طعامهم تقريبًا، وسوف يستغرق الأمر أسابيع قبل الوصول إلى اليابسة بسفينتهم في وضعها الحالي.

مرَّ يومٌ بعد يوم دون أن تلوح اليابسة في الأفق، لكنَّ جون بدأ يجد رجاءه في مكانٍ آخر. فأحد الأشياء التي نجت من العاصفة كان الكتاب المقدَّس، لذا أخذ جون يقرأُه كلَّما فرغ من الضخِّ أو الإنقاذ أو القيادة.

قرأ في إنجيل لوقا عن الابن الضالِّ، وهي قصَّة شابٍّ بدَّد كلَّ ما أعطاه إيَّاه أبوه وعاش على هواه. وقد ذكَّرته هذه القصَّة بنفسه. ومع ذلك، في القصَّة، يعود الشاب إلى منزله ويجد والده فاتحًا له ذراعيْه، مبتهجًا به ومستعدًّا لاستقباله. كان هذا هو الله ونعمته، أو على الأقلِّ هذا ما كان جون يرجوه.

بعد قرابة أربعة أسابيع في البحر، وصلت الصرخة أخيرًا: "وصلنا إلى البرّ!"

رست سفينة غرايهوند في مرفأ لاف سويلي في شمال إيرلندا، وهكذا نجوا.

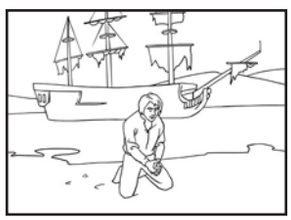

اعرض الصورة رقم ٢٥

مع استقرار قدَمَي جون على اليابسة، بدأت دموعه تسيل على خدَّيه، وطفق يصرخ: "شكرًا لكَ يا ربُّ لأنَّكَ سمعت صلاتي، أنا الخاطئ الشرِّير، واستجبتها بنعمتكَ".

فقد أنقذه الله من العاصفة. وعرف جون الآن أنَّه يستطيع الوثوق بهذا الإله نفسه ليخلِّصه من خطيَّته.

في البداية، تصرَّف جون كشخصٍ مختلفٍ تمامًا. وبدلاً من الذهاب إلى الحانة المحلِّيَّة في لندونديري، بدأ يذهب إلى الكنيسة - يوميًّا، مرَّتيْن في اليوم! وتوقَّف عن اللعن أيضًا!

بذل جون قصارى جهده ليتصرَّف كما ينبغي للمؤمن المسيحي أن يفعل، لكن سرعان ما وجد أنَّه من الصعب، لا بل من المستحيل، أن يعيش بهذه الطريقة فترةً طويلة جدًّا! فقد كان إغراء الخطيَّة قويًّا جدًّا.

نال جون الخلاص بالنعمة، لكنَّ الله كان يعلِّمه أيضًا أنْ يعيش متَّكلاً على نعمته.

بعد شهريْن، عاد جون أخيرًا إلى ليفربول في إنكلترا. كان قد كتب لوالده آملاً أن يجده هناك، لكنَّه تأخَّر يوميْن إذ كان والده قد أبحر بالفعل في رحلة إلى كندا. لم تكن هذه خيبة الأمل الوحيدة، فسرعان ما اكتشف جون أن قصَّة القبطان سوانويك حول الإرث لم تكن سوى خدعة لحمله على دخول السفينة. الآن بات جون بلا وظيفة، وبلا مال، بلا أيِّ أمل في الزواج من بولي كاتليت.

عرف جون أنَّ هذا ما يستحقُّه أيضًا. وخوفًا من إعطاء أمل أكبر لبولي، قرَّر جون أن يكتب لعائلتها ويخبرهم أنه سيختفي بهدوء من حياة بولي، ويعتبر نفسه غرق في البحر.

لكنَّه تلقَّى رسالة من العمَّة بولي أشعلت فيه الأمل من جديد، فقد قالت إنَّ والده قبل أن يبحر، زار عائلة كاتليت وإنَّ العائلتيْن اتَّفقتا على أن يتزوَّج جون وبولي... إذا وافقت بولي.

لكنَّ جون كان ما يزال بلا وظيفة. فكيف له أن يطلب الزواج منها؟

كان جون يسير في شوارع ليفربول بعد ظُهْرِ أحد الأيَّام عندما اقترب منه رجل، وقال:

"هل أنتَ جون نيوتن؟"

أجاب جون: "نعم".

فتابع الرجل يقول: "سيِّدي جوزيف مانيستي يريدُ أن يراكَ".

جوزيف مانيستي؟ تذكَّر جون كيف أنَّه عندما كان شابًّا، رفضَ عرض مانيستي للعمل في مزرعة السكَّر خاصَّته. ماذا يريد جوزيف مانيستي منه الآن؟

اعرض الصورة رقم ٢٦

بعد مضيِّ ساعة، وقف جون في مكتب مانيستي.

وبدخوله قال له مانيستي: "مرحبًا يا جون! كنت أبحث عنكَ. إنَّ القبطان سوانويك يعمل لديَّ، وقد أعطاني تقريره عن سفينة غرايهوند والعاصفة. وأخبرني عن مساعدتك في قيادة السفينة وعن تغيُّر موقفك لاحقًا".

أجاب جون: "نعم يا سيِّدي".

فاقترح مانيستي وقال: "أنا بحاجة يا جون إلى رجل مثلك لقيادة سفينتي براونلو. ما رأيك؟"

لم يصدِّق جون أنَّ مانيستي يقدِّم له هذا العرض. كيف اختاره من بين كلِّ الناس ليعرض عليه منصبًا بهذا القدر من الأهمِّيَّة!

لكنَّ جون ردَّ قائلاً: "شكرًا لكَ يا سيِّدي. أعلم أنَّني لا أستحقُّ مثل هذا المنصب. في الواقع، لستُ متأكِّدًا من مدى استعدادي".

فركَ مانيستي ذقنه للحظة، ثم قال:

"قد تكون على حقٍّ يا نيوتن. أنا أقدِّر صدقكَ. لكن ماذا عن العمل كمساعد قبطان؟ إذا أثبتتَ جدارتكَ، فسوف يكون منصب القبطان بانتظارك في المستقبل".

وافق جون.

كانت سفينة براونلو مختلفةً عن بقيَّة السفن الأُخرى التي ركبها جون قبلاً. فقد كانت سفينة عبيد متَّجهة إلى ساحل أفريقيا، حيث ستحمِّل حمولةً من العبيد وتجلبهم عبر المحيط الأطلسي ليتمَّ بيعهم في الأميركتيْن. لم تكن براونلو سفينة العبيد الوحيدة أيضًا. في تلك الأيَّام كانت هناك مئات السفن الأُخرى المخصَّصة للعمل نفسه. وكشابٍّ مؤمنٍ مسيحيٍّ، لم يفكِّر جون كثيرًا في شرور تجارة الرقيق أو التورُّط فيها.

اعرض الصورة رقم ٢٧

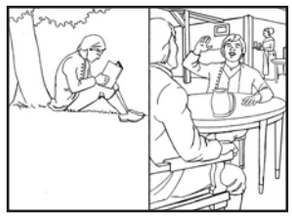

طوال رحلة سفينة براونلو، كان يدور صراع داخل جون. فقد أصبح مؤمنًا الآن، وما يزال يحتفظ ببعض طرق عيشه القديمة. صحيح أنَّه لم يَعُدْ يلعن، إلَّا أنَّه استمرَّ في عمل ما يريد، خاصَّةً في ما يتعلَّق بكيفيَّة معاملته للعبيد. بعد إنزال العبيد، مكثت سفينة براونلو في تشارلستون، في ساوث كارولينا عدَّة أسابيع، قبل العودة إلى إنكلترا. واستمرَّ الصراع محتدمًا في قلب جون. خلال النهار كان يجد مكانًا هادئًا لقضاء بعض الوقت مع الربِّ في قراءة الكتاب المقدَّس والصلاة ، ولكن في الليل كان يقضي وقتًا في الحانة محاطًا بآخرين يشربون ويلعنون.

وفيما كانوا يبحرون عائدين باتِّجاه إنكلترا، وجد جون المزيد من الوقت لقراءة الكتاب المقدَّس. وهكذا شيئًا فشيئًا، بدأ يتبع الله ويبتعد عن طرقه القديمة.

عندما عادوا إلى إنكلترا، قدَّم قبطان سفينة براونلو تقريرًا جيِّدًا لجوزيف مانيستي عن عمل جون.

اعرض الصورة رقم ٢٦ (مرَّة أُخرى)

فتمَّ استدعاء جون مرَّة أُخرى إلى مكتب مانيستي.

قال مانيستي: "أودُّ يا جون أن أعرض عليكَ أن تكون قبطان سفينتي دوق أرجيل التي ستبحر الصيف المقبل".

"ماذا؟ سأكون قبطانًا!" انبهر جون مجدَّدًا بالعرض وبنعمة الله له. ولكن هل يُظهر له الله النعمة بطريقة أُخرى؟

سافر جون في الطريق نفسه الذي سلكه ذات يوم إلى منزل كاتليت عندما كان ما يزال شابًّا. لدى وصوله، قابلته بولي عند الباب. وكانت تبدو جميلة كاليوم الأوَّل الذي التقيا فيه.

بعد العشاء مع العائلة، جلس جون وبولي معًا في غرفة الاستقبال.

اعرض الصورة رقم ٢٨

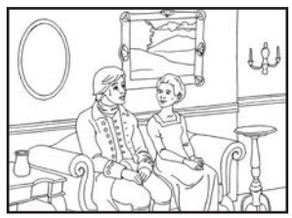

عرف جون ما يريد قوله، لكنَّ لسانه بدا منعقدًا والعرق يتصبَّب على جبينه.

بعد عدة لحظات من الصمت، مدَّت بولي أخيرًا يدَها وأمسكت بيده وقالت ببساطة: "موافقة يا جون".

بعد شهريْن، تزوَّج جون وبولي.

وبدت الأشهر القليلة التالية بمثابة حلمٍ لجون. فقد تمنَّى أن يقضي مع بولي كلَّ يوم من عمره، لكنَّه كان يعلم أنَّ الصيف قادم، وكذلك رحلته الأولى كقبطان بحري.

في آب/ أغسطس ١٧٥٠، أبحرت سفينة دوق أرجيل من إنكلترا. وعلى غرار سفينة براونلو، كانت سفينة دوق أرجيل مخصَّصة للعبيد. ومع نمو جون في النعمة، لم يكن يرى بعد شرَّ تجارة الرقيق.

اعرض الصورة رقم ٢٩

على مدى السنوات الأربع التالية، قاد جون سفينة دوق أرجيل وسفينة أُخرى تدعى الأفريقيَّة في ثلاث رحلات. قابَلَهُ العديد من الأخطار على طول الطريق. فذاتَ مرَّة حاول العبيد الاستيلاء على السفينة، وفي مرَّة أُخرى حاول البحَّارة المتمرِّدون فعل ذلك، وفي مرَّة ثالثة حاول العبيد تسميم إمدادات المياه في السفينة. كما أودى المرض بحياة العديد من العبيد والبحَّارة وغيرهم، بمَنْ فيهم أحد أصدقاء جون المقرَّبين.

ثم تلقَّى جون أخبارًا رهيبة بأنَّ والده قد غرق في حادث خلال رحلته إلى كندا. فملأ الحزن والندم قلب جون، لأنَّه لن يرى والده وجهًا لوجه ليطلب منه أن يسامحه على ماضيه.

على الرغم من أنَّ جون أصبح قبطانًا، كان خلال المعابر الطويلة للمحيط يجد الكثير من وقت الفراغ. لذا كتب رسائل عديدة إلى بولي، وقرأ كتبًا كثيرةً، بل أيضًا علَّم نفسه لغات الكتاب المقدَّس القديمة. والأهمُّ من ذلك أنَّ جون استمرَّ في قضاء الوقت مع الله من خلال قراءة الكتاب المقدَّس والصلاة. وشيئًا فشيئًا كان يتغيَّر.

لم يَعُدْ يشرب، وتحسَّنت معاملته للبحَّارة وحتَّى للعبيد. وبدأ يجمع الطاقم يوم الأحد لأجل الخدمات الكنسيَّة البسيطة التي يقودها. وأصبح هذا أحد الأمور المفضَّلة لدى جون.

مع اقتراب نهاية رحلة جون الثالثة كقبطان، التقى قبطان سفينة تجاريَّة يدعى ألكسندر كلوني. لم يكن كلوني قائدًا نموذجيًّا، لكنَّه كان مؤمنًا مسيحيًّا يرتاد كنيسة في إنكلترا مماثلة لتلك التي كان جون يحضرها مع والدته.

اعرض الصورة رقم ٣٠

أصبح الرجلان صديقيْن حميميْن وبدأا يدرسان الكتاب المقدَّس معًا كلَّ مساء في أثناء وجودهما في الميناء. كانت هذه عطيَّة أُخرى من عطايا نعمة الله. فقد احتاج جون إلى صديقٍ مسيحيٍّ مثل كلوني لمساعدته على فهم كلمة الله وتشجيعه على العيش كلَّ يوم واثقًا بمعونة الربِّ.

لدى العودة إلى إنكلترا، جلس جون ذات صباح مع بولي لشرب الشاي، ولم يكن يتبقَّى له سوى يومَيْن في المنزل قبل أن يبحر مجدَّدًا، فسألت بولي:

"لماذا يجب أن تغادر هكذا بسرعة يا جون؟ يبدو لي كأنَّكَ وصلتَ للتو".

أجاب جون: "أخشى يا عزيزتي أنَّ السيِّد مانيستي حصل على سفينته الجديدة التي تدعى "بي"، وسوف ترسو في ميناء ليفربول في انتظار أن أكون قبطانها".

ابتسمت بولي وقالت: "يبدو أنني أتذكَّر شابًّا كان يُبقي السيد مانيستي منتظرًا".

ضحك جون وقال: "كان ذلك عندما كنتُ صغيرًا وأحمق وواقعًا في الحبِّ. والآن؟ الآن، أنا أحبُّكِ أكثر، لكنَّني أكبر سنًّا وأرجو أن أكون أحكم". وتوقَّف لحظة، ثم تابع يقول: "ما زلت أتمنَّى أن أبقى، ليس فقط من أجلك أنتِ، بل بسبب سفن تجارة الرقيق هذه. أشعر أحيانًا كما لو أنَّني سجَّان في سجن عائم. هناك شيء ما غير صحيح بشأن ذلك، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟"

اعرض الصورة رقم ٣١

أخذ جون رشفة من فنجانه. وفجأةً، بدأ يشعر بتنميل فيه. وأحسَّ وكأنَّ الغرفة تدور به، ثمَّ سقط الفنجان من يده.

صاحت بولي. "جون! ما خطبك!؟"

أراد جون أن يجيب لكن مهما حاول كان جسده كلُّه عاجزًا عن أن يأتي بأيَّة حركة، وسقط أرضًا.

****

عندما استيقظ جون أخيرًا، وجد نفسه في السرير. كانت بولي تقف عند جانب والطبيب عند الجانب الآخر.

فتمتم جون قائلاً: "ماذا حدث؟"

قال الطبيب: "لسنا متأكِّدين يا سيِّد نيوتن، لكنَّكَ تعرَّضْتَ لسقوطٍ كبير، وتسبَّبتَ بحالة ذعر لزوجتك ولكلِّ شخص آخر في المنزل. وسيستغرق الأمر أسابيع قبل أن تقوى على النهوض مجددًا".

ثمَّ قال جون فيما كان يحاول الجلوس: "أسابيع؟" ماذا عن سفينة 'بي'؟ من المفترض أن أبحر في غضون يومَيْن!"

أجاب الطبيب: "لا أعتقد أنك ستبحر إلى أيِّ مكان قريبًا".

أزاحت بولي خصلة الشعر عن عيني جون وقالت: "أعتقد أنَّه سيتعيَّن على السيِّد مانيستي الانتظار في النهاية".

****

خلال الأشهر القليلة التالية، أخذ جون يستردُّ صحَّته وعافيته ببطء. لم يوجد أبدًا تفسيرٌ لمرضه، لكن اتَّضح أنَّه نعمة. فقد أبحرت سفينة "بي" من دون جون وكان مسرورًا تمامًا، إذ قد وَجَدَ حجَّةً لترك تجارة الرقيق وقضاء وقتٍ أطول مع بولي.

إنَّما كانت هناك مشكلة واحدة متبقِّية. وهي أنَّه لم يكن يملك عملاً ولا أيَّة وسيلة لإعالة زوجته!

لكن مرَّةً أُخرى، دبَّر الله أمره. فقد ساعد جوزيف مانيستي جون في أن يصبح مسَّاح المدِّ والجزر لمدينة ليفربول. كانت مهمَّة جون هي فحص السفن لدى وصولها إلى الميناء والتأكُّد من أنَّها دفعت مبلغ المال المطلوب للحكومة مقابل الأشياء التي تحملها.

صحيح أنَّ جون كان يصرف وقتًا في وظيفته لكنَّه كان يجد أحيانًا أوقات فراغ. وبدلاً من إهدار الوقت كما كان يفعل في الماضي، بدأ يهتمُّ بشكل أعمق بأمور الله.

وكان صديقه، ألكسندر كلوني، قد أوصاه بارتياد عدد من الكنائس في المنطقة، وحثَّ جون على حضورها والاستماع إلى الوعظ بكلمة الله.

اعرض الصورة رقم ٣٢

لم يكن كلُّ الوعظ داخل مباني الكنيسة أيضًا. في أحد الأيام جاء واعظ مشهور اسمه جورج وايتفيلد إلى ليفربول ليعقد عدَّة اجتماعات في الهواء الطلق. وقف وايتفيلد على منبرٍ أقيم في منطقة مفتوحة ووعظ الجميع حتَّى يسمعوا. أصغى جون إلى وايتفيلد يتكلَّم بصوته الجهوري والعالي ويقرأ من إشعياء ٢٥: ٤:

"لأَنَّكَ كُنْتَ حِصْنًا لِلْمِسْكِينِ،
حِصْنًا لِلْبَائِسِ فِي ضِيقِهِ،
مَلْجَأً مِنَ السَّيْلِ...".

وتذكَّر جون كيف أنقذه الرب من العاصفة وأعطاه نعمة للابتعاد عن طرقه الرديئة خلال السنوات الماضية. لكن عندما نظر إلى الحشد المجتمع، بدا له هناك شباب وكبار، أغنياء وفقراء. كانوا جميعًا بحاجة إلى معرفة الله بالقدر نفسه. وكانوا بحاجة إلى المزيد من الوعَّاظ الذين على غرار وايتفيلد ليخبروهم بأمانةٍ عن نعمة الله.

لكن مَنْ سيخبرهم؟

الفصل الخامس
الإعلانُ عن النعمة

اعرض الصورة رقم ٣٣

"حسنًا... القضيَّة محسومة يا بولي. لن أكون واعظًا أبدًا".

جلس جون وبولي في مؤخَّر العربة. كانا عائديْن إلى ليفربول بعد زيارة كنيسة في ليدز، حيث طُلب من جون أن يعظ أوَّل مرَّة.

وراحت بولي تقول وهي تمسك بيده: "لم يكن الأمر بهذا السوء كما تتخيَّل يا جون. فقد انعقد لسانكَ قليلاً".

"انعقد لساني؟ لقد كانت كارثة من كلِّ الجوانب يا بولي. لم أستطع تذكُّر أيِّ شيء ممَّا أعددتُ لقوله. كلُّ ما أمكنني فعله هو الوقوف هناك عاجزًا عن الكلام والارتجاف كورقة شجرة في الخريف أمام كلِّ هؤلاء الناس".

بذلت بولي قصارى جهدها لتشجيعه وقالتْ: "ربَّما يجدر بكَ المرَّة التالية أن تكتب عظتكَ أوَّلاً."

هزَّ جون رأسه قائلاً: "المرَّة التالية؟ كلَّا ... أعتقد أنَّه يجدر بي التخلِّي عن الفكرة، والالتزام بعملي في ليفربول".

فقالت بولي: "لكنَّك تعلم يا جون أنَّك لستَ سعيدًا في عملك ... ثمَّ فكِّرْ في كلِّ ما فعلته لإعداد نفسكَ لتكون خادمًا في كنيسة إنكلترا".

على مدى السنوات العديدة الماضية، درس جون بجدٍّ بمفرده. صحيح أنَّه لم يذهب إلى الكلِّيَّة أبدًا، لكنَّه تعلَّم من خلال قراءة كتابٍ تلو الآخر، وتعلَّم اللغات القديمة التي كُتب بها الكتاب المقدَّس في الأصل.

وبالعودة إلى مكتبه في تلك الليلة، حنى رأسه وصلَّى قائلاً:

"يا ربُّ، أنتَ تعلم أنِّي غير مناسب لأكون خادمَك. لكن إذا كنتَ تريدُ لي أن أكون كذلك، فأنا على استعداد يا ربُّ. من فضلك، أعطني نعمة لأعرف مشيئتكَ وأعمل بها".

وهكذا صلَّى جون يومًا بعد يوم.

وبعد ٤٢ يومًا، شعر بسلامٍ ويقين بأنَّها كانت مشيئة الله لحياته.

لكن كان هناك آخرون غير متأكِّدين. وقد رفض العديد من الخدَّام الآخرين الموافقة على جون كخادم. قال بعضُهم إنَّه غير متعلِّم، فيما اعتقد آخرون أنَّه قضى وقتًا طويلاً مع "أصوليِّين" مثل جورج وايتفيلد والأخوَين ويسلي.

عاد جون مجدَّدًا يشكُّ في قيادة الله، ويتساءل عمَّا إذا كان يجب أن يخدم كواعظٍ خارج كنيسة إنكلترا. لكن بولي كانت إلى جانبه وتشجِّعه، وقد قالت له:

"إذا كانت هذه مشيئة الله يا جون، فسيحقِّقها على طريقته. ما عليكَ سوى أن تنتظر وترى".

أجاب جون: "ربَّما أنتِ على حقٍّ يا بولي، لربَّما يستخدم الربُّ كلَّ ما هذا الذي يحدث ليعلِّمني الصبر والتواضع، أو ربَّما ليساعدني على اكتشاف الكنز الذي لي في زوجة مثلك".

ابتسمت بولي وقالت: "يمكننا التحدُّث عن ذلك لاحقًا. الآن، هناك رجل ينتظر في المكتب ويرغب في مقابلتك يا جون. يقول إنَّ اسمه توماس هاويس".

لم يكن جون قد التقى السيِّد هاويس قبلاً، لكنَّه سرعان ما اكتشف أنَّ السيِّد هاويس يعرف الكثير عنه، إذ قال:

"يا سيِّد نيوتن، أطلَعَني صديقك على بعض التفاصيل عن عمل الله في حياتك. لا بدَّ من القول إنَّها قصَّةٌ رائعة".

فردَّ جون: "حسنًا يا سيِّد هاويس، هناك الكثير ممَّا لا أفخر به، ولكن إذا استُخدِم لإظهار نعمة الله وتمجيد الربِّ، فسأكون سعيدًا بأن أحكي القصَّة".

فقال سيِّد هاويس: "هذا رأيي أنا أيضًا يا سيِّد نيوتن. أعتقد أنَّ كثيرين آخرين سوف يتشجَّع إيمانهم إذا سمعوا هذه القصَّة أيضًا. لذا أودُّ أن أطلب إذنك لنشرها في كتاب".

اعرض الصورة رقم ٣٤

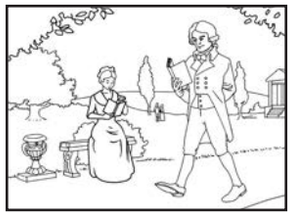

لم يكن جون متأكِّدًا في البداية، لكنَّه وافق في النهاية. خلال الأشهر القليلة التالية، كتب قصَّته في رسائل إلى السيد هاويس. ولم يمضِ وقت طويل على نشرها في كتاب بعنوان *An Authentic Narrative*، أي قصَّة حقيقيَّة، حتَّى ذاعت شهرة الكتاب مع قراءة الناس عن مغامرات نيوتن وعن نعمة الله في حياته. وهكذا سرعان ما أصبح اسم "جون نيوتن" معروفًا في جميع أنحاء إنكلترا.

كان اللورد دارتموث أحد أولئك الذين قرأُوا الكتاب، وهو رجل نبيل مهمٌّ ومالك مساحات شاسعة من الأراضي في إنكلترا. وقد احتاج داخل أرضه في مكان يُدعى أولني إلى خادم. فأوصى اللورد دارتموث أن يُعيَّن جون في هذا المنصب.

كان بعضُهم في الكنيسة ما يزالون ضدَّ ذلك، لكن اللورد دارتموث لم يستسلم، بل كتبَ عدَّة رسائل، ورتَّب لقاءً بين جون وقائد كنيسة مهمٍّ. أخيرًا، تمَّ قبول جون. وفي ٢٩ نيسان /أبريل ١٧٦٤، بعد ستِّ سنوات من خيبات الأمل والانتظار، أصبح جون خادمًا في كنيسة إنكلترا.

اعرض الصورة رقم ٣٥

قال جون لبولي: "الآن يبدأ التحدِّي الحقيقي".

ردَّت: "ماذا تقصد يا جون؟"

فقال: "حتَّى أعظ بما يجب، وأعيش ما أعظ به".

كانت كنيسة أولني تضمُّ ٢٠٠٠ شخص فقط، معظمهم عمَّال فقراء يسكنون الأكواخ، لكنَّ جون صمَّم على أن يخدم بأمانة في المكان الذي قاده الله إليه.

كان يعظ كلَّ يوم أحد صباحًا وظهرًا. وفي المساء كان يقود اجتماعًا صغيرًا لدراسة الكتاب المقدَّس. خلال عظاته، غالبًا ما كان يروي بعض الأحداث من قصَّة حياته. فكان قدوةً ومصدر تشجيع كبير لأولئك الذين كانوا يعتقدون أنَّ خطاياهم أعظم من أن تشملها نعمة الله.

لكنَّ جون لم يكتفِ بمجرَّد الوعظ عن نعمة الله على المنبر، بل أُتيحت له فرص أُخرى للإعلان عن ذلك.

وقال جون ذات يوم: "يا بولي لديَّ فكرة، أتعرفين القصر الكبير الذي يمتلكه اللورد دارتموث خلف الكنيسة؟"

فأجابت: "أتقصد القصر المهجور؟"

ردَّ جون: "نعم. سيكون مثاليًّا للأطفال!"

فقالت: "يا جون! أنتَ تعلم أنَّ الله لم يسمح بأنْ ننجب أطفالاً".

فردَّ يقول: "ليس هذا ما أعنيه يا بولي. أعني أنَّه سيكون مكانًا مثاليًّا لنا لعقد اجتماع للأطفال خلال الأسبوع. ففي النهاية، يحتاج أطفال أولني إلى أن يسمعوا بدورهم عن نعمة الله!"

اعرض الصورة رقم ٣٦

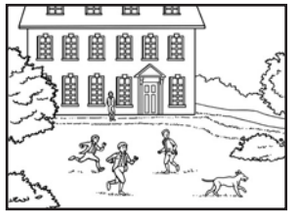

في غضون أسابيع قليلة، عُقد أوَّل اجتماع للأطفال في المنزل. وقد حضر تسعة وثمانون طفلاً في الليلة الأولى! وفي الأسبوع التالي، انضمَّ إليهم أربعة وأربعون آخرون! حكى لهم جون قصصًا من الكتاب المقدَّس، وعلَّمهم الترانيم، وشاركهم في قصَّة حياته الخاصَّة.

عندما لم يكن جون يقود الخدمات أو الاجتماعات، غالبًا ما كان يرتدي سترة البحَّار القديمة، ويزور سكَّان أولني. وكان يقضي وقتًا في الاستماع إليهم، وإسداء المشورة إليهم، والصلاة معهم، خاصَّةً في أوقات الحاجة.

ذات يوم، خرج جون من أولني إلى قريةٍ أبعد كان يعيش فيها خادمٌ آخر. اعتقد جون أنَّها قد تكون فرصة جيِّدة لمقابلة الرجل أخيرًا، ولكن حين قاده الخادم إلى داخل المنزل، أدرك أنَّ هناك خطبًا ما.

فقد وقفت امرأة مسنَّة ورجل أصغر سنًّا في الردهة يرتديان ملابس سوداء.

تقدَّمت المرأة وقالت: "يا حضرة القس نيوتن، لقد سمعنا الكثير عنك وعن عملك في أولني. زوجي القس أونوين كان ليستمتع بلقائك... لكن يؤسفني القول...".

اغرورقتْ عيناها بالدموع، ثمَّ راحت تقول:

"أخشى أنَّكَ أتيت إلينا مع حلول مأساة كبيرة. توفِّي زوجي منذ يومين إثر سقوطه عن حصانه. ونحن في حداد. هذا الشاب معي هو السيِّد ويليام كوبر، وقد عاش معنا أنا وزوجي سنينَ عديدة وكان بمثابة ابنٍ لنا. وهو يشاركني في حزني الكبير".

كان جون يتوقَّع أن تكون الزيارة قصيرة، ولكن بعد مقابلة السيِّدة أونوين والسيِّد كوبر، اضطرَّ للمكوث عدَّة أيام ليعزِّيهما.

في وقت لاحق، عندما تمَّ تعيين خادم جديد ليحلَّ محلَّ القس أونوين، فتح جون وبولي منزلهما لاستقبال السيِّدة أونوين وويليام.

أصبحت السيِّدة أونوين تساعد كثيرًا في اجتماعات الأطفال عبر قيادة الموسيقى. فيما كان السيِّد كوبر أكثر هدوءًا، وقد أصبح هو وجون صديقيْن مقرَّبيْن. وسرعان ما اكتشف جون أنَّ ويليام كان شاعرًا رائعًا.

فيما كان الاثنان يتمشَّيان يومًا ما في الحديقة، رفع جون صوته وقال: "لطالما وجدتُ يا ويليام أنَّ الأطفال يفهمون ويتذكَّرون كلمة الله بشكل أفضل إذا وُضِعَتْ في ترنيمة. وأعتقد أنَّ الأمر نفسه ينطبق على البالغين. هلا فكَّرتَ في استخدام مهارتكَ في صياغة الكلمات لكتابة بعض الترانيم الجديدة؟"

نظر السيِّد كوبر بارتباكٍ وقال: "أنا... لستُ متأكِّدًا من أنَّني سأجيد القيام بذلك يا سيِّد نيوتن".

فردَّ جون: "حسنًا، ربَّما يمكننا العمل على ذلك معًا. أنت تُشْرِفُ على عملي وأنا أُشرف على عملك".

اعرض الصورة رقم ٣٧

وبتشجيعٍ من جون، كتب ويليام العديد من الترانيم، بما في ذلك الترانيم التي ما تزال تُرنَّم حتَّى اليوم، مثل ترنيمة "ينبوعُ دَمٍ سالَ من جنبِ عمانوئيل". في النهاية، جُمِعَتْ ترانيم ويليام وترانيم جون في كتاب ترانيم يسمَّى ترانيم أولني.

مع نهاية عام ١٧٧٢، فكَّر جون مرَّة أُخرى في نعمة الله في حياته. فقد عَبَرَ به الله أخطارًا كثيرة، بما في ذلك أعماق خطيَّته الخاصَّة. وقد باركه الله بزوجة مُحِبَّة وأعطاه الفرصة ليعلن كلمة الله كخادم. وبقلبٍ يملأه الشكر، كتب جون كلمات ترنيمة جديدة استخدمها في خدمة يوم رأس السنة الجديدة، يقول مطلعها:

ما أعجبَ النعمة لي من قلبكَ الكبير

من بعد ما ذقتُ العمى ها إنَّني بصير

لم يظنَّ جون أنَّ هذه الترنيمة ستصبح معروفة ومحبوبة جدًّا. فقد اشترك كثيرون في الإعلان عن نعمة الله من خلال تكرار كلمات هذه الترنيمة البسيطة.

****

بعد عامَيْن، لم يكن جون يفكِّر في كثيرين، بل في شخصٍ واحدٍ على وجه الخصوص.

فقد سألت بولي وهي تتنهَّد باكيةً: "ماذا سيحلُّ ببيتسي العزيزة؟".

فقد وصلت للتو رسالة تقول إنَّ أخا بولي قد توفِّي. وكانت زوجته قد توفِّيت قبله من جرَّاء المرض، ما يعني أنَّ ابنتهما بيتسي البالغة من العمر خمس سنوات أصبحت الآن بلا معيل.

قال جون: "حسنًا، أليس واضحًا ما سيحلُّ بها؟ ستأتي لتعيش هنا بالطبع. صحيح أنَّني أبلغ من العمر ٥٠ عامًا تقريبًا، لكنَّني لستُ أكبر من أن أصبح أبًا".

اعرض الصورة رقم ٣٨

لم تكن بيتسي الفرد الوحيد من العائلة الذي اصطحبه جون وبولي إلى منزلهما. فقد عاش والد بولي المسنُّ معهم إلى أن مات، وانتقلت ابنة أخٍ أُخرى تدعى إليزابيث للعيش عندهما بعد وفاة والديْها بمرض السلِّ. أحبَّ نيوتن كلًّا من بيتسي وإليزابيث كما لو كانتا ابنتيْه، لكنَّه كان هو وبولي قلقيْن بشكل خاصٍّ على إليزابيث.

فقد قالت بولي ذات ليلة: "إليزابيث تزداد سوءًا. وكانت تسعل طوال اليوم".

أومأ جون برأسه قائلاً: "أنا أعلم...".

فقالت: "آه يا جون، أتظنُّ أنَّه مرض السل؟"

فردَّ جون: "أعتقد ذلك يا بولي. سنفعل كلَّ ما بوسعنا لرعايتها، لكن يجب ألَّا يكون هذا شاغلنا الوحيد. إنَّها تحتاج إلى المسيح في قلبها، لذا يجب أن نصلِّي كي يكلِّمها الربُّ من خلال كلمته ويظهر لها احتياجها إليه. إذا وثقت بالمسيح، فلا يهمُّ إذا ماتت في سن ١٢ أو ١١٢. إذ إنَّها ستكون مع مخلِّصنا إلى الأبد".

على مدار العامَيْن التاليَيْن، قدَّم جون وبولي لإليزابيث أفضل رعاية طبِّيَّة في مرضها، لكن جون أيضًا أمضى كلَّ صباح ومساء يعلِّم إليزابيث الكتاب المقدَّس ويصلِّي معها.

في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٧٨٥، توفِّيَت إليزابيث. ورُغم حزن جون وبولي الشديد لفقدانها، ابتهجا أيضًا لأنَّها قبل موتها آمنت بالمسيح.

على مرِّ السنين، حدثت نقلة نوعيَّة أُخرى في حياة نيوتن. فقد غادر جون أولني في عام ١٧٨٠ ليصبح خادمًا في كنيسة في لندن تُدعى سانت ماري وولنوث. وعلى عكس أولني، كانت خدمة جون الجديدة في وسط المدينة مفعمة بالنشاط ومليئة بالقادة المهمِّين.

ذات مساء، جاء شابٌّ إلى منزلهما لعقد لقاءٍ خاصٍّ مع جون. كان اسمه ويليام ويلبرفورس، وقد كان عضوًا في البرلمان البريطاني الذي يحكم البلاد. وعلى غرار نيوتن، كان ويلبرفورس ذات يوم ضالاً يعيش حياةً مليئةً بالخطيَّة، لكنَّه آمن لاحقًا بالمسيح. وقد قال لجون:

"يا سيِّد نيوتن، يبدو أنَّ السياسة عمل قبيح، فيها الناس يكذبون باستمرار ويبحثون عن طرق لاكتساب المزيد من السلطة لأغراض أنانيَّة. هل ترى أنَّها مكانٌ مناسبٌ لي؟"

كان جون يقدِّر أهمِّيَّة وجود قادة أتقياء، لذا قال له:

"صلاتي لأجلك يا ويليام، أن يجعلك الله بركةً كمؤمن وكرجل دولة".

لم يكن لدى جون أيَّة فكرة عن مدى أهمِّيَّة نصيحته.

اعرض الصورة رقم ٣٩

واصل ويلبرفورس العمل في السياسة، وأصبح في النهاية زعيمًا لحركة حظر تجارة الرقيق في الإمبراطوريَّة البريطانيَّة بأكملها. كانت معركةً صعبةً، وقد تصدَّى لها قادة كثيرون نافذون لأنَّ تجارة الرقيق كانت تضخُّ الكثير من الأموال للبلاد.

كان جون نفسه في ذلك الوقت واعيًا لخطيَّة تجارة الرقيق. وقد بدأ يعمل مع ويلبرفورس ليُظهر للناس خطيَّة الأُمَّة الكبرى.

كان لدى جون أداة قويَّة للمساعدة في إقناع الآخرين، وهي تجاربه الخاصَّة. لذا كتب كتابًا صغيرًا عن أهوال تجارة الرقيق، وإذ بدأ كثيرون يقرأُونه، راحوا يدعمون قضيَّة حظر العبوديَّة.

ثمَّ حدث وسط خدمات جون، أنْ ساءت صحَّة بولي، لا سيَّما بعد إصابتها بورم سرطاني. وإذ كان يصعب جدًّا على جون أن يراها تتألَّم، استمرَّ الله يمنحه وبولي نعمةً إلى النهاية. وإذ جلس جون بجوار سريرها في إحدى ليالي كانون الأوَّل/ديسمبر عام ١٧٩٠، تذكَّر تلك الليلة من الشهر نفسه عام ١٧٤٢ عندما رأى وجهها الجميل أوَّلَ مرَّة.

ثمَّ صلَّى قائلاً: "يا ربُّ، رجاءً، دعني أبتهج بكَ حتَّى عندما تأخذ عزيزتي بولي".

وفي آخر الليل، كانت بولي قد توفِّيت. وقد استجاب الله صلاة جون ومدَّه بالقوَّة بضعة أيَّام لاحقة حتَّى يعظ في جنازة بولي.

على مدى السنوات الـ ١٦ التالية، استمرَّ جون يعمل كخادم في سانت ماري وولنوث. لكن في النهاية أجبره العجز وفقدان الذاكرة على التنحِّي. وكانت ابنته بالتبنِّي بيتسي قد تزوَّجت وتساعد هي وزوجها في رعاية جون.

في شباط/ فبراير ١٨٠٧، سمع جون البشارة: فقد نجح ويليام ويلبرفورس، وتمَّ أخيرًا حظر تجارة الرقيق في الإمبراطوريَّة البريطانيَّة.

اعرض الصورة رقم ٤٠

قرب نهاية العام، توقَّف صديقٌ قديمٌ لزيارة جون، وكان قد أصبح ضعيفًا جدًّا ومضطرًّا إلى ملازمة الفراش. قال جون بصوتٍ خافتٍ: "ذاكرتي أوشكت على الاختفاء، لكنِّي أذكُر شيئيْن: أنَّني خاطئ كبير وأنَّ المسيح مخلِّصٌ عظيم".

بعد أيَّام قليلة مات جون عن عمرٍ يناهز ٨٢ عامًا. ومع ذلك، استمرَّ في الإعلان عن نعمة الله من خلال قصَّة حياته، ومن خلال الترانيم التي ما زالت تُرنَّم حتَّى يومنا هذا.

تقول إحدى تلك الترانيم وهي "قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ":

النعمة التي كالربِّ المعطي،

لا تسقط أبدًا من دورٍ إلى دور.

فقد اختبر جون أعماق نعمة الله. واستمرَّ الله في محبَّته يقدِّم النعمة نفسها لكلِّ من يدعوه طلبًا للخلاص. فما أعجب نعمة الله!

أسئلة المراجعة
إعداد: هَنا بِيدْرِيك

الفصل ١

١. ماذا علَّمَتْ أمُّ جون ابنَها عندما كان ما يزال صغيرًا؟ **(كتاب وستمنستر الموجز للتعليم المسيحي، أسئلة وأجوبة عن الله).**

٢. لماذا لم يرَ جون والدَه كثيرًا؟ **(كان والده قبطانًا تاجرًا، وغالبًا ما كان يسافر في البحر).**

٣. مَنْ كان الواعظُ الضَّيف الذي سمِعَه جون في كنيسته؟ **(إسحاق واتس)**

٤. اذكُرْ إحدى الترانيم التي كتبَها إسحاق واتس. **("حين أرى صليب مَنْ قضى"، "هذا هو اليوم السعيد"، "أنا أشيدُ بقوَّة الله العظيمة").**

٥. لماذا مضَتْ أمُّ جون بعيدًا عندما كان صغيرًا؟ **(كانت مريضة للغاية وتحتاج إلى هواء البحر المنعش).**

٦. إلى أين أُرْسِل جون بعد عودة والده من رحلته البحريَّة؟ **(إلى مدرسة داخليَّة)**

٧. ما الذي كان يخطِّط جون وصديقه أن يذهبا لاستكشافه؟ **(سفينة حربيَّة بريطانيَّة راسية عند النهر).**

٨. كيف بَيَّنَ اللهُ نعمةً لجون بالسماح له بالوصول متأخِّرًا للقاء أصدقائه؟ **(نجا جون من الغرق عندما انقلبَ القارب).**

الفصل ٢

١. مَنْ كان مستاءً من جون في بداية الفصل؟ لماذا؟ **(أبوه؛ فقد كان جون كسولاً).**

٢. لماذا فوَّتَ جون السفينة المتَّجهة إلى جامايكا؟ **(لقد وقع في حبِّ بولي ولم يرغب في إنهاء زيارته لعائلتها).**

٣. ماذا حدث لجون فيما كان يسيرُ في شوارع بلدة تشاتام؟ **(قبضت عليه فرقةُ التجنيد الإجباري وأجبرتْه على الخدمة في البحريَّة الملكيَّة).**

٤. كيف عاملَ جون البحَّارة الآخرين على متن سفينة هاروتش؟ **(كان لئيمًا مع مَنْ هُمْ تحت إمرَته ويقلِّل احترام مَنْ هم في السلطة).**

٥. ماذا فعلَ جون عندما سُمح له يومًا ما بأن يذهب إلى الشاطئ؟ **(غابَ عشرة أيَّام لزيارة بولي).**

٦. لماذا قرَّر جون مغادرةَ البحريَّة الملكيَّة؟ **(كان يعلم أن السفينة ستُبْحِرُ إلى جزر الهند الشرقيَّة، حيث لن يكون قادرًا على رؤية بولي).**

٧. كيف عُوقِبَ جون لتركه السفينة؟ **(تمَّ جلده أمام البحَّارة الآخرين).**

٨. كيف تجاوبَ جون مع نعمة الله في هذا الفصل؟ **(تجاهل جون باستمرارٍ نعمة الله وأضاع الفُرَص).**

الفصل ٣

١. لماذا ملأ اليأسُ جون على متن سفينة هاروتش؟ **(لم يرغب أحدٌ في أن تكون له أيَّة علاقة به؛ كان بعيدًا عن بولي).**

٢. كيف غادر جون السفينة البحريَّة الملكيَّة؟ **(بدَلوه ببحَّارٍ على سفينة تجاريَّة).**

٣. ما كان المصنع؟ **(كان مكانًا يُحتجَز فيه العبيد ليتمَّ إرسالهم على متن سُفُن إلى الأميركتيْن).**

٤. ماذا فعلَ جون ليسخرَ من القبطان بنروز؟ **(ألَّفَ أغنية).**

٥. ماذا فعلتْ باي عندما سَقَطَ صَحْنُ طعام جون أرضًا؟ **(أجبرتْه على البقاء دون طعام).**

٦. عندما حصل جون على جزء من ملكيَّة مصنع، كيف عامل العبيد؟ **(عامَلَهم بقسوةٍ وفعلَ بهم كلَّ ما شاء).**

٧. كيف دفعَ القبطان سوانويك جون إلى ركوب سفينة غرايهوند؟ **(أخبر جون أنَّه ورث ثروة عن عمَّته).**

٨. كيف بيَّنَ اللهُ نعمته لجون في وسط العاصفة؟ **(أنقذ جون من أن يجرفه البحر عندما ذهب ليحضر سكِّينًا).**

الفصل ٤

١. أيَّة قصَّة في إنجيل لوقا مَنَحتْ جون نيوتن رجاءً؟ **(الابن الضال).**

٢. ما التغييرات التي أجراها جون في حياته بعدما نجا من العاصفة؟ **(كان يذهب إلى الكنيسة كلَّ يوم وتوقَّف عن اللعن).**

٣. لماذا جاهدَ لمقاومة إغراء الخطيَّة؟ **(كان بحاجةٍ إلى الاتِّكال أكثر على نعمة الله يوميًّا).**

٤. ما الوظيفة التي قدَّمها جوزيف مانيستي لجون؟ **(قبطان سفينة عبيد).**

٥. كيف عبَّرت بولي لجون عن قبولها عرضَ الزواج؟ **(أمسكت بيده وقالت "موافقة").**

٦. اذكُرْ بعض الطرق التي كان جون ينمو بها في النعمة حتى عندما كان قبطانًا لسفينة عبيد؟ **(كان يقضي وقتًا أطول في قراءة كلمة الله، وأحْسَنَ معاملة البحَّارة والعبيد، وبدأ يقدِّم خدمات يوم الأحد على متن السفينة).**

٧. ماذا حدثَ حتَّى ترك جون العمل على متن سفن تجارة العبيد؟ **(أدَّى مرضه غير المبرَّر إلى أن تفوته السفينة).**

٨. مَنْ هو الواعظ الشهير الذي سمعه جون في ليفربول؟ **(جورج وايتفيلد).**

الفصل ٥

١. لماذا فكَّر جون في التخلِّي عن فكرة أن يصبح خادمًا؟ **(كان ينسى ما عليه أن يقوله؛ وقد عارض آخرون رغبتَه في أن يصبح خادمًا).**

٢. كيف أصبح جون نيوتن معروفًا في جميع أنحاء إنكلترا؟ **(قرأ الناس كتابه الذي بعنوان *An Authentic Narrative*، أي قصَّة حقيقيَّة).**

٣. ما اسم المكان الذي خدمَ فيه جون أوَّلَ مرَّةٍ؟ **(كنيسة أولني).**

٤. ماذا فعل جون وبولي بالقصر خلف الكنيسة؟ **(استضافا اجتماعات للأطفال).**

٥. ما الذي قام جون بتشجيع ويليام كوبر على عمله؟ **(كتابة ترانيم).**

٦. ما اسم الترنيمة الشهيرة التي كتبها جون نيوتن لِعِظة رأس السنة الجديدة؟ **("ما أعجب النعمة لي").**

٧. كيف ساعد جون وبولي في رعاية ابنة أخي بولي "إليزابيث"؟ **(قدَّما لها الرعاية الصحِّيَّة؛ وأمضى جون وقتًا في تعليمها كلمة الله).**

٨. قبل موت جون، ما الذي تمَّ حظره في الإمبراطورية البريطانيَّة؟ **(تجارة الرقيق).**

الفصل ١

مسرحيَّة إيمائيَّة عن النعمة: يتحدَّث هذا الفصل عن نعمة الله كما ظهرت لجميع الناس من خلال خليقته. ابحثْ أكثر في هذا الموضوع من خلال الطلب إلى ثلاثة تلاميذ أكبر سنًّا أن يبحثوا عن الشواهد التالية ويقرأُوها: تكوين ٨: ٢٢، وأيُّوب ٥: ١٠، ومتَّى ٥: ٤٥. تكلَّمْ عن كيفيَّة إظهار الله نعمته وصلاحه في الطبيعة، للمؤمنين وغير المؤمنين على حدٍّ سواء. ولمساعدة التلاميذ الأصغر سنًّا على استيعاب هذا المفهوم، قُدْهم إلى القيام بالحركات الإيمائيَّة للعبارة الأخيرة في متَّى ٥: ٤٥، عبر جعل أصابعهم كالمطر، ثمَّ رفع إبهامهم إلى أعلى وأسفل إشارةً إلى الأبرار والظالمين. شجِّعْهم على المشاركة في الأشياء الأُخرى التي يهبُها الله لكلِّ الناس ليتمتَّعوا بها إلى جانب المطر- كالشمس، والنجوم، والزهور، والحيوانات، إلخ.

الموارد عبر الإنترنت: إذا كنتَ ترغب في أن تتعرَّف أنت أو تعرِّف صفَّك بأجواء الحياة على متن سفينة تابعة للبحريَّة الملكيَّة البريطانيَّة في القرن الثامن عشر، يمكنك زيارة الموقع التالي (www.hms-victory.com) التابع للمتحف الوطني للبحريَّة الملكيَّة، والمخصَّص لاستكشاف HMS Victory. ليست هذه هي السفينة الحقيقيَّة المذكورة في النصِّ (والتي فُقدت في البحر عام ١٧٤٤)، ولكنَّها سفينة أحدث منها بُنيت عام ١٧٦٥ وتعود إلى أيَّام جون نيوتن. كثيرون من التلاميذ لا يعرفون عن السفن أو الإبحار كما كانت معروفة في أيَّام نيوتن، وقد تساعد صُوَرُ هذا الموقع وشرحُه على إحياء القصة في مخيِّلتهم.

الفصل ٢

وقت المناقشة: قُدْ صفَّكَ في مناقشة حول أعمال نعمة معيَّنة أظهرها الله لهم. اطلبْ من التلاميذ الأكبر سنًّا المشاركة في اختبارهم حول نعمة الله. إذا كانوا مترددِّين، شجِّعْهم على المشاركة عبر رواية قصَّة شخصيَّة حدثت معكَ، أو عبر طرح الأسئلة.

تمرير كيس الفول: للتلاميذ الأصغر سنًّا أو للصفِّ الهادئ، اجعلْهم يجلسوا في دائرة ومرِّرْ من تلميذٍ إلى آخر عبر الدائرة كيسًا من القماش (أو أيِّ شيءٍ آخر من اختيارك). وفيما يحمل كلُّ تلميذ بدوره كيس القماش، اسألْ: "ما الشيء الحسن الذي صنعه الله معك؟" هذا قالب مريح يطرد الخجل ويشجِّعهم على المشاركة.

الفصل ٣

صحيح أم خطأ: استخدمْ هذا النشاط لاستكشاف المواقف الصائبة والمناسبة للردِّ على أصحاب السلطة. قبل النشاط قمْ بإعداد كيس فيه قُصاصات من الورق، وفي كلِّ ورقة سيناريو لصاحب سُلطة يُملي تعليمات أو يؤدِّب. قد تتضمَّن هذه السيناريوهات ما يلي: يطلب منكَ حارس الأمن التوقُّف عن الركض في ردهة المدرسة؛ يقول لك أحد والديْك أن تغلق هاتفك؛ يمنحكَ المعلِّم واجبًا إضافيًّا تقوم به؛ يطلب منك سائق الحافلة تغيير مقعدك؛ يطلب منكَ الشرطي عدم عبور الشارع؛ يطلب منك جدُّك أو جدَّتك أن تهدأ؛ تطلب منك جليسة الأطفال أن تلعب مع أخيك الصغير، وما إلى ذلك. في الكيس الثاني، ضعْ قصاصات من الورق فيها استجابات مختلفة لهذه السيناريوهات: تتجاهله؛ أو تصرخ: "لن أفعل ذلك!"؛ أو تتظاهر بعدم السماع؛ أو تجادل وتتذمَّر؛ أو تبذل قصارى جهدك لفعل ما يُطلَب منكَ؛ تجيب: "نعم سأفعل ذلك حالاً"؛ أو تقول: "نعم يا سيِّدي" أو "نعم يا سيِّدتي". اطلبْ من التلميذ اختيار ورقة من كلِّ كيس. إذا كانت الاستجابة مناسبة للسيناريو، يحصل التلميذ على جائزة أو قطعة حلوى. وإن لم تكن كذلك، فما يزال بإمكانه/ها كسب جائزة إذا عرض الاستجابة الصحيحة والمناسبة للسيناريو.

تمثيل أدوار: بالنسبة للتلاميذ الأصغر سنًّا، قمْ بترسيخ المعلومات حول تجارب جون كعبد وكمالك عبيد. اختَرْ تلميذًا ودعْهُ يمثِّل ويقلِّد ما كان جون يفعله عندما كان عبدًا. اطلبْ من التلميذ الركوع على ركبتيْه وشدَّ يديْه، ودعْهُ يكرِّر وراءكَ عبارة: "من فضلك أعطِني طعامًا!" ثم ذكِّر الصفَّ أنَّ جون عندما أصبح حرًّا، عاملَ عبيده معاملة سيِّئة كما تمَّت معاملته هو. الآن دعْ أحد التلاميذ يقف ويحرِّك قبضته ويكرِّر: "هيَّا أسرعْ وجهِّز لي فَطوري!" ليتناوبِ التلاميذ على تمثيل دور جون.

الفصل ٤

وقت العمل اليدوي: قمْ بتوجيه صفِّك لصنع عمل يدوي عن البحر. أثناء عملك، تحدَّث عن الكيفيَّة التي بها أنقذَ اللهُ جون من العاصفة وغيَّرَ حياته. بالنسبة إلى الأطفال الأصغر سنًّا، املأ كيسًا صغيرًا بمعجون أسنان أزرق ودعْهم يوزِّعوا معجون الأسنان عن طريق فَرْك أصابعهم على الكيس. ثمَّ أعطِهم ملصقات عن البحر لتزيين الجزء الخارجي من الكيس. ولصنع عمل يدوي يجذب التلاميذ الأكبر سنًّا، قمْ بتزويد كلِّ تلميذ بزجاجة بلاستيكيَّة فارغة أو مَرطَبان زجاجي. اجعلْهم يملأُوا ثلث الزجاجة بالماء، ثمَّ أضفْ بضع قطرات من تلوين الطعام الأزرق، ورُجَّها حتَّى تمتزج معًا. يمكن أيضًا إضافة الرمل والحصى والأصداف والأسماك البلاستيكيَّة الصغيرة، وما إلى ذلك. اطلبْ من الصفِّ أن يملأ باقي الزجاجة أو المَرطَبان الخاصِّ به بزيت الطهي (قد ترغب في إغلاق الغطاء بالغراء الساخن إذا كان يسرِّب!). ثم دعْهم يقلبوا الزجاجة رأسًا على عقب ويستمتعوا ببحرهم الخاصِّ.

مصادر للأعمال اليدويَّة عن موضوع البحر:

http://bibleschoolteachers.blogspot.com
http://happyhooligans.ca

الدراما: قصَّة "الابن الضال" المُشار إليها في هذا الفصل. اسردِ القصَّة بمزيدٍ من التفاصيل. يمكنكَ أيضًا أن تجعل التلاميذ يمثِّلون القصَّة، واختَرْ التلاميذ للعب الأدوار التالية: الأب، والابن الأكبر، والابن الأصغر، وأصدقاء الابن، والمزارع الذي يعمل الابن لديه، وخَدَم الأب. ولمزيدٍ من المتعة والفائدة، زوِّدْ كلَّ تلميذ بلباس بسيط يرتديه كزي، أو بأدوات تمثيل يحملها: سلسلة ذهبية، قبَّعة، قطعة قماش ملفوفة حول الكتفيْن، عصا، دلو لإطعام الخنازير، إلخ. يمكنك أيضًا تزويد الابن الأصغر بكيس من العملات المعدنيَّة، وبخاتم، ورداء، وصندل لارتدائه بعد عودته إلى المنزل. إذا كان صفُّك على دراية بهذه القصَّة، فشجِّعْهم على التعبير عنها بكلماتهم الخاصَّة.

وقت المناقشة: ناقِشْ مع تلاميذك الأكبر سنًّا الأسباب والدوافع الكامنة وراء نظام العبوديَّة: الأنانيَّة، والكسل، واللامبالاة، والجشع، والفخر. اكتبْ كلاًّ من هذه الدوافع على اللوح. وقلْ لهم: كما أنَّ جون لم يرَ في العبوديَّة شرًّا، كذلك أفعالنا الخاطئة تخفي وراءها دوافع شرِّيرة ونحن لا نلاحظها دائمًا على الفور. اطلبْ منهم أن يقدِّموا أمثلة على الخطايا التي قد يرتكبها الشابُّ. ثم اسألْ عمَّا إذا كان بإمكان أيِّ شخصٍ أن يقول: أيُّ الكلمات الموجودة على اللوح هي الدافع وراء هذه الخطيَّة.

يحتوي موقع البرلمان البريطاني على قسمٍ خاصٍّ يتحدَّث عن تجارة الرقيق (www.parictures.uk) اكتبْ كلمتيْ "تجارة الرقيق" في شريط البحث للوصول إلى هذه المادَّة.

الفصل ٥

موسيقى من فضلك: إذا وُجِدَ في صفِّك تلاميذ يعزفون الموسيقى، اطلبْ منهم التدرُّب على ترنيمة "ما أعجبَ النعمة" على آلاتهم وعزفها في الصفِّ في الأُسبوع التالي. قد تجد أنَّ بعضهم يعرفون الترنيمة من قبل.

حركات إيمائيَّة للترنيمة: رنِّموا معًا أوَّل دَور من ترنيمة "ما أعجبَ النعمة". اطلبْ من التلاميذ الأكبر سنًّا أن يخبروا بما تعنيه كلُّ عبارة برأيهم. اختَرْ متطوِّعين للانضمام إليك في الجزء الأمامي من الصفِّ. عيِّنْ لكلِّ واحد حركة تتوافق مع عبارة من الترنيمة. ثم قُمْ بترنيم الترنيمة مرَّة أُخرى مع قيام كلِّ واحد بحركته/ـها. الإيماءات المقترحة:

"ما أعجبَ النعمة لي!" - رفع أيديكم إلى الأمام، والكفوف إلى فوق

"من قلبكَ الكبير"- وضع اليديْن على القلب ثمَّ رفعهما إلى فوق

"من بعد ما ذقتُ العمى" – وضع كفوفهم على عيونهم

"ها إنَّني بصير!" – رفع كفوفهم عن عيونهم

قد يثير تفكيرهم استكشاف الأدوار الأُخرى من هذه الترنيمة. اسألْ تلاميذ صفِّك: ما الأحداث في حياة جون التي كان يفكِّر فيها عندما كتب ذلك العدد من الترنيمة. ناقشْ معنى الكلمات.

الخطُّ الزمني: اللحظات الأساسيَّة في الكفاح ضدَّ العبوديَّة في الإمبراطورية البريطانيَّة:

١٥٦٢ – انطلاق أوَّل رحلة إنكليزيَّة بحثًا عن العبيد يقودها السير جون هوكينز

١٧٢٥ - ولادة جون نيوتن

١٧٥٩ - ولادة ويليام ويلبرفورس، المناهض لتجارة الرقيق

١٧٨٧ - جون نيوتن ينشر كتابThoughts upon the African Slave Trade (أفكار حول تجارة الرقيق الأفريقيَّة)، وتوماس كلاركسون، المناهض لتجارة الرقيق، يبدأ حملته لإلغاء تجارة الرقيق

١٧٨٩ – أولوداه إكيوانو ينشر روايةThe Interesting Narra¬tive of the Life of Olaudah Equiano, أو Gustavus Vassa, the African (الرواية المثيرة للاهتمام عن حياة أولوداه إكيوانو، أو غوستافوس فاسا، الأفريقي)

١٧٩٠ - فشل مشروع القانون الأوَّل لإلغاء تجارة الرقيق

١٧٩٢ - مجلس اللوردات يرفض مشروع قانون إلغاء تجارة الرقيق بعدما أقرَّه مجلس العموم

١٨٠٧ - في ٢٥ آذار، البرلمان البريطاني يلغي تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي

١٨٠٧ - وفاة جون نيوتن

١٨٣٣ - البرلمان يقرُّ قانون إلغاء تجارة الرقيق، ما يؤدِّي أخيرًا إلى إلغاء تجارة الرقيق وحظر ممارستها في جميع الأراضي البريطانيَّة